رواية

أسود وردي

مصطفى ذكري

t.me/qurssan

إسود وردي

مصطفى ذكري

لمزيد من المعلومات عن الكرمة للنشر والتوزيع:
www.facebook.com/alkarmabooks

حقوق النشر © مصطفى ذكري ٢٠١٤

الحقوق الفكرية للمؤلف محفوظة

جميع الحقوق محفوظة. لا يجوز استخدام أو إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب

بأي طريقة من دون الحصول على الموافقة الخطية من الناشر.

ذكري، مصطفى.

إسود وردي: رواية / مصطفى ذكري - القاهرة: الكرمة للنشر والتوزيع، ٢٠١٤.

٢٧٢ ص؛ ٢٠ سم.

تدمك: ٩٧٨٩٧٧٦٤٦٧٠٩٥

١- القصص العربية.

أ - العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١١٤٥٨ / ٢٠١٤

٢٤٦٨١٠٩٧٥٣١

تصميم الغلاف: كريم آدم

t.me/qurssan

١

صالة الشقة قليلة الأثاث، والإضاءة خافتة تنبعث من أباجورتين قائمتين على أرضية الباركيه، واحدة طويلة في الركن المجاور لباب الشقة الخارجي، وثانية قصيرة مُقابِلة بشكل عكسي في الركن المجاور لنافذة الصالة، وفي صدر الصالة كنبة كبيرة أمامها ترابيزة من الخشب، عريضة شبه مُربعة، تبعد قليلًا عن تلفزيون تحمله ترابيزة برفين مليئين بجهاز ديفيدي وسيديهات، وهناك عمودان من الكتب يستندان على الحائطين الخارجيين للترابيزة، وبالقرب من منتصف الحائط على امتداد ترابيزة التلفزيون، يقف جسم الساعة المهيب، ينزل داخله بندول طويل يتكتك بثقل ورهبة. ينظر خالد باستعداد وترقب ممثل ينتظر بدء دخوله إلى خشبة المسرح، وفي يده تلفون وايرلس، وعينه على عقرب الساعة الذي سيعلن خلال لحظات: الثانية ليلًا. يهبد بندول الساعة دقتين ثقيلتين. يضغط خالد أرقام التلفون بتتابع شبه سريع.

خالد: ألو.. أعتذر في البداية على الاتصال في

وقت متأخر.. اتنين بعد نص الليل مش وقت بدري..

لو كنا في الصيف.. لكانت اتنين بعد نص الليل في

مقام اتناشر بالليل.. بس الشتا هوه إللي خلّا اتنين

بعد نص الليل في مقام أربعة الصبح.. لكن الموضوع

ما يحتملش التأجيل.. ورغم كل ده.. كلام في سِرّك.. أنا

ممكن أفكر كتير قبل الرد على تلفون في الساعة اتنين

بعد نص الليل.. لكن زي ما قُلتلك الموضوع

ما يحتملش التأجيل.

يذهب خالد إلى باب الشقة الخارجي، ويعود بخطوات حذاء تئز

t.me/qurssan

على الباركيه، وهو يؤكد كلماته أحيانًا بانحناءة إلى الأمام سببها فسحة الباركيه، ومتعة الأداء. يصل خالد إلى الأباجورة القصيرة بجوار النافذة، ببنطلون جينز وبلوفر أنيق وربطة كوفية على الطريقة الفرنسية.

خالد: من دقايق كنت باقلِّب في أجندة تلفونات محطوطة

على رف المكتبة.. آه في الحقيقة أنا دايمًا باقلِّب في

حاجات من النوع ده.. أجندات.. أوراق.. صور.. أحلام..

كلمات.. طبعًا إنتِ عارفة الحالة ديه.. أقولِّك إيه..

آه.. الشرود.. الوحدة.. والليل في إزاز الشبَّاك.. عدِّت أسامي

كتيرة تحت عينيَّ.. خدت أجندة تلفونات تانية.. أدون أرقام

التلفونات في أكتر من أجندة.. يعني كل ما تزهق روحي

من شكل ولون واحدة.. أشتري واحدة تانية جديدة.. وبحماس

البداية أنقل الأرقام من الأجندة القديمة للأجندة الجديدة..

وبعدين تيجي العَطَلة في نص التدوين بسبب الزهق والفتور.

يفك خالد ربطة الكوفية الفرنسية عن رقبته، ويلمس لمسًا رقيقًا عمودًا من الكتب بجوار ترابيزة التلفزيون، وهو لمس يطمئن به على سيمترية العمود، واستناده الفائق إلى حائط الترابيزة الخارجي، ثم يعود إلى الأباجورة القصيرة بجوار النافذة، ويسحب من بيت ضوئها الدائري، وبأطراف أصابعه، فتلة وهمية علقت من الشابوه، في دائرة الضوء. يترك خالد الصالة، ويتجه إلى ممر يؤدي للمطبخ، وضوء يأتي من حمَّام الشقة يضفي ظلالًا على مكتبة صغيرة في الممر. يستعدل خالد تلفون الوايرلس على أذنه، ويتابع حديثه.

خالد: وفي النهاية تلال أجندات كتيرة بألوان وأشكال

ما يجمعهاش ذوق واحد.. وتكرار أرقام بس عشان جت في

t.me/qurssan

التدوين عند البداية الحماسية.. ولأني لأسباب غير معروفة

ما بادوِّنش الأسامي حسب الترتيب الأبجدي.. فتلاقي سيادتك

في كل أجندة رقمين أو تلاتة سِلموا من التكرار.. وبكده تتكوم

الأجندات وتزاحمني بوجودها.. وتبقى إنصاص صفحاتها

البيضا إدانة صامتة خرسا تطبع حياتي كلها بالنقص وعدم

الاكتمال.. دايمًا باقطع البدايات بعزم وأمل. وللأسف من

غير تنظيم.. فتلاقي الطاقة خلصت بعد وقت قصيِّر.. مع

إن الطريق لسه طويل والنهاية بعيدة.

يدخل خالد إلى المطبخ، ويشعل الضوء، وهو يرفع إصبعه في الهواء دلالة على تأكيد كلماته القادمة، وكأنَّ المتحدثة معه على التلفون، أو بالأحرى المستمعة إليه، ترى تأكيده، وهو يرفع إصبعه أيضًا لينقل كلماته القادمة إلى شيء من الحيوية، قد تنتفي معها قليلًا تراجيدية كلماته السابقة.

خالد: الغريب والمُدهش والمُذهل.. خدي بالك تاني..

الغريب والمُدهش والمُذهل.. يعني أنا باقول تالت

ومتلِّت.. الغريب والمُدهش والمُذهل.. إن رقم تلفونك

ما كانش موجود في أجنداتي الكتيرة.. وده يقولِّك

قد إيه الاتصال كان صادق وعفوي.. إوعي أكون غلطت

في رقم التلفون.

يأخذ خالد من مطبقية معدنية فوق الحوض كنكة قهوة نحاسية وفنجانًا، ثم يسند برُمَّانة كتفه التلفون حتى يحرر يده، ويأخذ الماء في الفنجان كمعيار مضبوط، ثم يضع ملعقتين من البن وشعرة إضافية ومثلها من السكر.

t.me/qurssan

خالد: في العادة دايمًا باغلط في البداية.. وبعدين باصلّح الغلط بعد وقت قُليِّل.. أنا بأكدلِك.. بعد وقت قُليِّل..

بيقولوا عني إني راجل بدايات عظيم.. آه بدايات بس..

بس برضه المرَّة ديه أنا عازم وناوي أكمِّل للنهاية..

أقصد بالنهاية النهاية بس.. غريبة مفيش حد يسمع كلمة النهاية إلا ويعتبرها نهاية.. لازم الواحد يستخدم كلمة تانية.

t.me/qurssan

٢

في مكان يفتح أبوابه للزبائن على مدار أربع وعشرين ساعة، وهو خليط بين المقهى المودرن والمطعم الحديث. تجلس كريمة إلى ترابيزة مميزة، يختارها أي زبون عندما يجد المكان خاليًا. كريمة في الثلاثينيات، تبدو أنها بالغت في قص شعرها لجدية مهمة ما تقوم به. من خلفية «المقهى المطعم» ينساب صوت «بيلي هولياداي» ناعمًا حزينًا ممحونًا. يستجيب للصوت ضوء خافت مريض يشع من أنحاء المكان. على الترابيزة أمام كريمة كتاب من قَطْعٍ متوسط وفنجان قهوة إسبرسو وقطعة حلويات وعلبة سجائر. وبجوار كريمة في المساحة الخالية شال رقبة باشمينا وجاكيت وحقيبة يد. يدخل خالد من باب المقهى المطعم، وفي يده حقيبة من الجلد. يبتسم الجرسون لخالد في أثناء مروره، ويشير بيده ناحية كريمة. يتقدم خالد إلى الترابيزة. يبتسم خالد لكريمة، وهو يجلس أمامها، ويفك عن رقبته الربطة الفرنسية للكوفية، ويخلع الجاكيت ويضعه هو والحقيبة الجلدية في المساحة الخالية بجواره.

خالد: هاي.

كريمة: هاي.

يشير خالد بذقنه إلى الكتاب ذي القَطْع المتوسط على الترابيزة، وهو يخرج سجائره ودفترًا صغيرًا وقلمًا، بينما ترتفع كريمة بمرفقيها قليلًا على الترابيزة استعدادًا للحديث.

خالد: الكتاب؟

تومئ كريمة برأسها بأن نعم، بينما يقلِب خالد الكتاب ناحيته، فيظهر عنوانه بحفر ذهبي واضح: «خسوف كلي»، وتحته اسم المؤلف ببنط أصغر «جاليليو جاليلي»، ترجمة الفقير لله «عبود شيخ الأرض». يُقلِّب خالد صفحات الكتاب بخبرة مَنْ يعرف هذا الكتاب، ويقفز إلى صفحات بعينها ثم يذهب إلى جلدة الغلاف الداخلية في نهاية الكتاب ويُخرج من جراب كرتونى ملصق فى

t.me/qurssan

الجلدة، حافة كارت الاستعارة. تقول كريمة بمناسبة وصول خالد إلى كارت الاستعارة، وهي تشعل سيجارة.

كريمة: أنا استعرت الكتاب من يومين. وطبعًا

هاكسر مدة الاستعارة.

خالد: كام المدة؟

كريمة: أسبوعين.

خالد: وهيعملوا إيه؟

كريمة: ولا حاجة.. بس أنا كده مَليش

استعارة تاني.

يمسك خالد القلم، ويبدو أنه يريد صنع علامات في متن الكتاب، فينظر إلى كريمة بشبه ابتسامة، فتقول كريمة وهي تفتح راحة يدها بابتسامة أوسع، وهنا تظهر الشظية المضيئة على طاقة أنفها من الخارج.

كريمة: الكتاب ملكك يا افندم.

يأتي الجرسون ويرفع بخفة طبق الحلويات والفنجان الفارغ، وبفوطة صغيرة يمسح جزءًا من الترابيزة. ينظر خالد إلى بواقي طبق الحلويات الصغير. يقول الجرسون دون أن ينظر إلى خالد، وهو يضع زجاجة مياه معدنية وكوبًا كبيرًا أمام كريمة.

الجرسون: خالد بيه.. قهوة؟

يضع خالد دائرة حمراء بقلمه على كلمة القمر في صفحة من صفحات كتاب «خسوف كلي»، ثم ينظر إلى الجرسون ويقول له، بينما تغسل كريمة جوفها من أثر قطعة الحلوى والقهوة بكوب الماء المترع، وهي تفرد جذعها إلى الأعلى بحركة لاشعورية، وكأنها توسّع مجالًا أكبر للمياه.

خالد: طيب هاتلي حاجة قبلها.

t.me/qurssan

الجرسون: عيني يا باشا.

خالد: كريم كراميل مثلًا.

ترفع كريمة إصبعها في الهواء كي ينتظراها، فيقول خالد وهو يبتسم للجرسون، ويشير إلى كريمة بينما يبتسم الجرسون هو الآخر ابتسامة أدب ولياقة.

خالد: استنى الوخش.

كريمة: وأنا كمان.

يشعل خالد سيجارة، ويقرب منه طفَّاية السجائر بينما يذهب الجرسون. يقول خالد مبتسمًا لكريمة وإشارةً إلى الدهون والسمنة المحتمل تراكمها من كثرة الحلويات.

خالد: فات.. فات.

تشد كريمة جذعها في جلستها وتُحدد بيديها خصرها النحيل، وهي تنظر إلى ضموره ورشاقته ثم تعود بنظرتها إلى خالد وتقول.

كريمة: ده في حلمك يا أستاذ خالد.

أزاحث كريمة الباشمينا من جوارها، وأخرجت من حقيبة يدها فيش أوراق صفراء، بينما أخرج خالد من الجراب الكرتوني فيشة الاستعارة. تقول كريمة بلهجة جادة قياسًا للفتة الدهون، وهي تنظر في الفيش التي أعدتها سابقًا.

كريمة: بص يا سيدي.. تواريخ استعارة الكتاب

متوزَّعة على اتنين وتلاتين سنة.. من ١٩٨٠ إلى ٢٠١٢

الكتاب خرج عشر مرات في الاتنين وتلاتين سنة.. وده قُليِّل

نسبيًّا.. وهتلاقي واحد بس إللي هوه سعد الدين عمران

خرَّج الكتاب تسع مرات.. ست مرات منهم في الأربع

t.me/qurssan

شهور الأولى من سنة ١٩٨١.. بفاصل خمسة أيام كحد

أدنى من لوايح المكتبة لتكرار الاستعارة.. طبعًا هتحط

في اعتبارك إنه يزيد يوم أو يقل يومين من التلاتين يوم بتوع

الشهر الاستاندر.. وديه عيوب وفوضى بتعتبرها لوايح

المكتبة البيروقراطية استثناءات أو شر لا بد منه.. أمَّا

التلت خروجات الباقية للسيد الغامض سعد الدين عمران..

فواحدة سنة ١٩٨٦.. والتانية سنة ١٩٩٠.. والتالتة سنة

١٩٩٩.. والمستعيرة التانية صاحبة الخروج العاشر للكتاب

سنة ١٩٩٥ هي السيدة عايدة الضمراني.. والتالتة العبدة

لله كريمة الشوربجي سنة ٢٠١٢.

تدفع كريمة الفيش الصفراء على الترابيزة إلى خالد، وكأنها تُلقي على عاتقه عبئًا ثقيلًا. يستقبل خالد الفيش الصفراء بوجوم، ويضعها بين صفحات الكتاب. تلاحظ كريمة ثقل المهمة على كاهل خالد، فتقول وهي تميل على الترابيزة بلهجة يتأرجح فيها صوتها بين الحنان وبين السخرية.

كريمة: بيقولوا عنَّك يا أستاذ خالد إنَّك

رجل بدايات.

يختار خالد بتسامح جانب السخرية دون رفض واضح لجانب الحنان، وهو يتخلص من رماد سيجارته في الطفَّاية.

خالد: مجرد بدايات.. بدايات بس.

تأخذ كريمة الكلمة الأخيرة من تعليق خالد جسرًا لشيء آخر أكثر جدية بينما صوت «بيلي هوليداي» يترك الفرصة لسولو على آلة نحاسية.

t.me/qurssan

كريمة: بس في مشكلة ممكن تنسف

البحث كله.

خالد: إيه؟

كريمة: الكتاب موجود في المكتبة من سنة

١٩٦٢.. وفضل كمرجع خارج قانون الاستعارة

لسنة ١٩٧٥.. وبعدين دخل في قائمة الكتب القابلة

للاستعارة بعد نشره في دور نشر كتيرة سنة ١٩٧٢

و١٩٧٣ و١٩٧٤.. وإللي يهمك هنا إن أرشيف المكتبة

فيه بطاقات مليانة بتواريخ استعارة بتغطي الفترة من

سنة ١٩٧٥ إلى سنة ١٩٨٠.. وكمان أوضة المراجع

أيام ما كان الكتاب فيها هِنَاك تلاقي في دفتر لتسجيل

اسم القارئ ومهنته وعنوانه والكتاب إللي هيقرا فيه..

يعني قدَّام بحثك تلتاشر سنة من الماضي المجهول.

خالد: متهيألي البداية هتكون مع الغامض

سعد الدين عمران.

كريمة: والنهاية مع المُزَّة عايدة الضمراني.

يضحك خالد وكريمة، بينما يأتي الجرسون وهو يحمل صينية عليها شبه كرتين من الكريم كراميل وفنجان قهوة إسبرسو وزجاجة مياه معدنية وكوبان كبيران فارغان وطفَّاية سجائر نظيفة. يأخذ الجرسون وقته وهو يعيد هندسة المساحة الخالية من الترابيزة، بطريقة حِرَفية تجعل أيادي خالد وكريمة تتلقى فقط إزاحة الأوراق والكتاب في المرحلة الأخيرة، وكأنها إشادة بهندسة الجرسون الذي يضع محتويات صينيته ثم ينسحب

t.me/qurssan

بابتسامة، وكأنه يعتذر عن انقطاع الحديث بين خالد وكريمة. بحرص يغرس خالد ملعقته في الكريم كراميل، وهو يشير بملعقته بعد ذهابها لفمه إلى الحقيبة في المساحة الخالية إلى جواره. يقبض خالد بفمه على الملعقة مثل السيجارة ثم ينقل الحقيبة ذات الثقل المتوسط أعلى الترابيزة، ويركنها على النافذة العريضة التي تعرض من خلفها مشهدًا غائمًا. تنتبه كريمة إلى الحقيبة وتخرج صوتًا من فمها يختلط فيه نسيان الحقيبة والاستمتاع بمذاق الكريم كراميل.

كريمة: موووو.

خالد: الشنطة هتقعد معاكِ يوم أو يومين ما اعرفش

بالظبط.. المهم إن هيجيلك تلفون من حد وهيحدد معاكِ

ميعاد عشان تسلميه الشنطة.. المهم سواء قعدت معاكِ

الشنطة يومين. تلاتة. أربعة.. ومش هيزيدوا عن تسع

أيام. هاقولّك بعدين ليه. عليكِ كل يوم.. يعني كل أربعة

وعشرين ساعة.. تغيير شفرة الشنطة.

يقرب خالد الحقيبة ويميلها لنظرتها بينما تشب كريمة بجذعها قليلًا لترى البكرات الثلاث الرقمية في منتصف الحقيبة من أعلى، وتقول ضاحكة على موديل الحقيبة القديم نسبيًا.

كريمة: يا.. لسه النوع ده موجود؟!

خالد: كريمة.. ركِّزي.. هتغيري

التلات أرقام.. يعني هيه دلوقتي على

تلات وَحَايد بقالها واحد وعشرين ساعة.

تبتسم كريمة وتداري ابتسامتها في الكريم كراميل، ولا يستطيع خالد تجاوز ابتسامتها، فيبتسم هو الآخر ويقول بغضب زائف.

t.me/qurssan

خالد: يا.. كوكي.. وبعدين.

كريمة: ما إنت إللي.. أوكيه كمِّل.

خالد: بكره تغيريها على تلات إتنينات..

وبكره ده يعني بعد تلات ساعات من دلوقتي

وبعده على تلات تلاتات.. وبعد بعده على

تلات أربعات.. وهكذا.. ومعاكِ التغيير لغاية

تلات تسعات.. بالترتيب.. آه في حاجة.. طبعًا

مش محتاج أقولّك إنه ممنوع تشوفي إيه

إللي جوه الشنطة.. وإلا كُنَّا دخلنا فيلم أمريكاني..

بس في نفس الوقت عشان تغيري شفرة الشنطة

لازم تفتحيها وتقطعي ذاكرة الباس وورد القديم.

تقفز قطعة من الكريم كراميل هاربة من حد الملعقة مثل الجيلي على الباشمينا في المساحة الخالية بجوار كريمة التي تحاول استرجاعها إلى الطبق، وهي تنادي على الجرسون لنجدتها.

كريمة: أحمد.

يأتي أحمد سريعًا وينتشل الباشمينا من يد كريمة التي تقول له، بينما يصب خالد الماء في الكوب الزجاجي أمامه.

كريمة: في أمل؟

أحمد: أكيد.

خالد: طارت الباشمينا.

t.me/qurssan

بيت سعد الدين عمران هو خليط معماري بين البيت والفيلّا. ليس هناك جشع في تصميم البناء لمجرد كونه بيتًا على بحر، فإذا بالشرفات تلتهم واجهته، بل هناك شرفات عادية في الطابقين الأول والثاني، وكأنه كان موجودًا هنا قبل البحر، فلا يحق للقديم أن يحتفل أكثر مما ينبغي بالحديث. يبدو البيت منفردًا أمام رمل مشع بضوء الفجر، وصوت البحر الهادئ يتناغم مع ضوء ضعيف يأتي من الطابق الأول، ضوء مطبخ أو جراج، وآخر يأتي من الطابق الثاني. السماء مُحايدة مكتومة بالضوء، والبحر أكثر عتمة، وهناك في كتف باب حديدي اعتراف مُتساهل على مربع نحاسي، فيلّا سعد الدين عمران. يمزق فجأة الصمتَ والفجرَ صوتٌ قبيحٌ، صوتُ اختراق وتحطيم، ويبدو الصوت يأتي من عمق البيت. بعد لحظات يشتعل ضوء ثالث في الطابق الثاني.

t.me/qurssan

٤

يستيقظ خالد في الغرفة على صوت مدوٍّ. الغرفة بسيطة، بها بابان: باب أصلي، وباب فرعي يفضي إلى غرفة مجاورة، وهناك سرير نحاسي ضيق، ودولاب ملابس، وكومودينو عليه أباجورة بجوار السرير، وعلى النافذة ستارة بيضاء لا تصل إلى أرض الغرفة المصنوعة من خشب ذهبث لمعته تمامًا. تتجه نظرة خالد إلى المكان الذي جاء منه صوت الاختراق والتحطيم، إلى الباب الفرعي للغرفة المجاورة ثم ينظر إلى كتاب «خسوف كلي» الموضوع على الكومودينو تحت الأباجورة، وكأنه يستنطق الكتاب في شيء ما. يترك خالد السرير ببنطلون ترينج وتيشيرت سميك بكُم، ويقطع بفضول الأمتار القليلة التي تفصله عن باب الغرفة الفرعي. يجد خالد ساقًا صناعية نفذت بشكل مستقيم على ارتفاع نصف متر من أسفل الباب الواصل بين غرفته والغرفة المجاورة. حذاء الساق غليظ ومُدبب، وفي أسفله عند مواطن الارتكاز، توجد أهلَّة حديدية رصاصية اللون، وفي كل هلال ثلاثة ثقوب لمسامير غائرة. يميل خالد على الحذاء متأملًا ثم وكأنه يتذكَّر خطر تقدم الحذاء في الهواء، فيسدد لكمة مُباشرة في وجهه، يبتعد بوجهه عن مجال الحذاء المستقيم. يذهب خالد إلى إضاءة مصباح الغرفة الرئيسي في منتصف السقف، وها هو يعود ليتأمل ساق الحذاء من على جنب. أشكال هندسية محفورة على قصبة الساق الخشبية، مربعات ودوائر ومثلثات متداخلة، حُفرت ربما بآلة حادة. يسمع خالد من وراء الباب عزم همهمات. تتململ الساق الصناعية بعسر دون أن تحقق تقدمًا أو تأخرًا، فقط تهتز إلى أعلى وأسفل بعزم المُحَاوَلَة من وراء الباب، وكأن الثقب في خشب الباب قد أحكم قبضته عليها، وكأنها أيضًا تختنق، ومعها مَنْ هو يحاول من وراء الباب. يسمع خالد طرقًا خفيفًا مُتمهلًا على باب الغرفة الأصلي. يذهب إلى الباب بقدمين عاريتين. يفتح الباب، فيجد أمامه الخادمة جمالات في جلابية بسفرة ونقش، وعلى رأسها تربيعة لها نقش قريب من نقش الجلابية، وفي قدميها شبشب زنوبة بإصبع.

t.me/qurssan

ملامح جمالات تقول إنها لا تتجاوز بأي حال من الأحوال منتصف العشرينيات. جميلة على الطريقة البلدي. تبتسم جمالات لخالد. يقول خالد رادًّا على ابتسامتها بأخرى مُحايدة لجنتلمان.

خالد: جمالات؟

يردد خالد الاسم بين الاستفهام وبين التأكد من نطق الاسم لأول مرة، فترد جمالات دون أن تقف على معاني الاستفهام، أو لأن الأسلم لها والأوضح أن تدخل في الموضوع مباشرة.

جمالات: معلشي يا أستاذ خالد.. من أول يوم

كده.. يادي الكسوف.. إنت والله ما تعرفش

معزتك عند سعد بيه.

تشير جمالات باستئذان إلى داخل الغرفة في اتجاه الباب الفرعي بينما يكون خالد قد أخلى الطريق أمامها منذ نصف حديثها على الأقل وهي تقدمث بتزامن مع حركته خطوةً داخل الغرفة. تتقدم جمالات إلى الباب الفرعي، وكأنها تعرف ما تفعله، لأنها فعلته مرارًا في زمن سابق. تخلع بحركة رشيقة من قدميها الشبشب أبو صباع، وتسويه منتظمًا بمشط قدمها على الباركيه الكالح بجوار باب الغرفة الفرعي، وهي قريبة جدًّا في مجال الساق الصناعية التي ما زالت تُزمجر في الهواء، ويعلو عزمها الخائب وراء الباب. تضع جمالات يدها على بوز الحذاء المُدبب بألفة وطمأنة، فيستجيب العزم الخائب وراء الباب، ويكف عن مُحَاوَلاته، ويُعلن بأنين انهيار مكتوم عجزه واستسلامه. تقول جمالات بصوت ضعيف حرجًا من خالد، وهي ما زالث تربت على رأس الحذاء.

جمالات: طيب معلشي.. أنا أهوه.

تمسك جمالات بقوة مُقدمة الحذاء وكعبه مع مُراعاة الإمساك بجسم الساق، وتُثبت قدمها اليمنى في الباب، فتتعرى ساقها إلى ما بعد ركبتها بقليل، وفي نفس الوقت تُجذِّر قدمها اليسرى في الباركيه الخشن. يحاول خالد مُتأخرًا الاقتراب ومساعدة جمالات،

t.me/qurssan

فتبتسم له بأن لا، على الرغم من صعوبة الابتسامة مع بداية الضغط على ملامحها لاستجماع القوة. يستسلم خالد سريعًا لعدم مد يد العون، ويبدو أن المُراقَبَة هي التي تأخذه أكثر. الآن كل جسم جمالات المرن يندفع إلى الوراء بمعونة رئيسية من مسمار كعب قدمها اليسرى المدقوق في خشب الباركيه الخشن. يطقطق الثقب الخشبي ويُخربش لحم الساق الخشبية. تضم نظرة خالد بعدلٍ غير مقصود ساق جمالات اليمنى المُتفجِّرة حياةً وقوة وخروج الساق الصناعية من ثقب الباب الفرعي. تبدو الساق الصناعية أنها لما بعد الركبة، وفي الجزء الأخير منها يشتد جسد جمالات الفتي في الرجوع إلى الوراء، ويحفر أكثر فأكثر مسمار كعب قدمها اليسرى خشبَ الأرضية. في نقطة حرجة يتكثف الضغط والأنين وراء الباب وتصلب الاندفاع إلى الوراء ولمعة العرق على جبين جمالات واشتداد عضلة سمَّانة قدمها اليسرى وصولًا إلى لحظة الخلاص. يتوقع رد فعل، فيستعد قليلًا بالوقوف وراء جمالات كمصدٍ لجموح الجسد. تخرج الساق الصناعية من ثقب الباب الفرعي، فتندفع جمالات إلى الخلف في حضن خالد، وفي يدها الساق الصناعية التي تنتهي إلى ما بعد الركبة، وفي نهايتها أشرطة جلدية كآبازيم الحقائب المدرسية. لا تبقى جمالات إلا لحظة خاطفة في حضن خالد ثم يستعيد الجسد الكفء سريعًا توازنه، وبروح الجنتلمان لا يستبقي خالد جسد جمالات في حضنه رغمًا عنها، إلا أن لحظة لقاء الجسدين منعشة وممتعة من الطرفين معًا. تبتسم جمالات بخجل، وهي تستعيد بنفس الرشاقة، في قدميها، الشبشب أبو صباع الزنوبة. رفعت جمالات الساق الصناعية مثل طفل ذهب زمن حمله، فأصبح ثقيلًا، إلى صدرها، وهي تستعدل وضعًا مريحًا للساق تحت إبطها، وبمساعدة يديها الاثنتين. وعلى باب الغرفة الأصلي الذي ما زال مفتوحًا، ابتسمت جمالات، ودارث بحملها الثقيل، واستخدمث بصعوبة مُقدمة الحذاء المُدبب للإشارة إلى الثقب الأسود في الباب الفرعي للغرفة، وهي تقول.

جمالات: هنصلحه بسرعة.. جوزي نجَّار.

t.me/qurssan

تشير جمالات بعينيها ولسانها، لتعذر استعمال يديها، إلى الساق الصناعية تحت إبطها والقريبة من ذقنها بينما خالد يبتسم لها على عتبة باب الغرفة الأصلي.

جمالات: هوه إللي عامل الداهية ديه.

يغلق خالد باب الغرفة الأصلي وراء جمالات ثم يتجه إلى دولاب الملابس، فتقع نظرته صدفةً على الثقب الأسود الشائه في باب الغرفة الفرعي. للحظات يأخذه السواد الشديد للثقب.

t.me/qurssan

على امتداد غرفة خالد تمشي جمالات بحملها الثقيل إلى غرفة سعد الدين عمران، وهي تُبدِّل وضع الساق الصناعية إلى ما تحت إبطها وبين حضنها، وللحظة يختلط الوضعان معًا. عند باب غرفة سعد الدين عمران تنظر جمالات على امتداد الممشى ناحية باب غرفة خالد المغلق. تبدو نظرتها شاردة تشتبه بالحزن، وكأنها تستدعي شيئًا ما، لكنها لا تعرف ما هذا الشيء تحديدًا. يفتح خالد باب غرفته على غير توقع من جمالات، وينظر في الاتجاه الآخر من الممشى ثم ينظر في اتجاه جمالات، وهي واقفة أمام غرفة سعد الدين عمران. ترتبك جمالات وتبتسم وهي تُقرِّب جزءًا من كوعها للنقر على الباب، وكأن خالد يراها عارية. يرد خالد الابتسامة على أمل أن تحمل ابتسامته تفسيرًا مفاده أنه فتح الباب مرةً أخرى، للتأكد من شيء آخر. تخطف جمالات سرقةً وهي تُبدل وضع الساق الصناعية، بظهر أصابعها نقرات أكثر تحكمًا على باب الغرفة ثم تعود بيدها سريعًا للحمل الثقيل. عدم استجابة باب الغرفة يدفع جمالات إلى مزيد من العبث الطفولي، فتنقر على باب الغرفة بمقدمة الحذاء المدبب، وتنظر مرة ثانية إلى خالد الذي يتابع العبث الطفولي برضا. يستجيب باب الغرفة بفرجة صغيرة. تحاول جمالات توسيعها بمقدمة الحذاء. تُقاوم فرجة الباب مُحَاوَلَة التوسيع. تضغط جمالات بقوة لتمرير مُقدمة الحذاء، وهي تُغالب الابتسامة. تنجح جمالات في تمرير مُقدمة الحذاء في فرجة باب الغرفة. تُشجِّع جمالات نفسها بصوت هو مزيج من الضحك والأنين والضغط على ملامحها والضغط بالساق الصناعية. تستعيد فرجة باب الغرفة بروح النمور الجريحة القوة والعزم، فتخرج مُقدمة الحذاء، وتُحبط مُحَاوَلات الاقتحام. وفي صحوة يائسة تستجمع جمالات كامل طاقتها وتضغط على فرجة الباب. تمر مُقدمة الحذاء ثم قصبته، وفجأة بتكتيك عابث طفولي ينفتح الباب عن آخره، فتنشفط جمالات في سقوط مدوٍّ داخل الغرفة بثقل جسدها وضغطه، وبثقل الساق الصناعية وضغطها، وبثقل الأنين والضحكات

t.me/qurssan

والصرخات، ويبقى من وجود جمالات خارج الغرفة، وكأنه أثر بعد
عين، فردة الشبشب اليسرى الزنوبة أبو صباع على أرض الممشى.

t.me/qurssan

٦

ممر المبنى قد يكون ممرًّا لشركة اشتراكية أو ممرًّا لمستشفى كبير أو ممرًّا لمصنع عملاق. يغلب على الممر الطول اللانهائي والنظافة والضيق من حيث العرض والهدوء بدوافع العمل الشمولي. تمشي كريمة الشوربجي في خط مستقيم على أرض الممر. تحمل مشيتها صرامة عارضة الأزياء على شريط ضيق بين مشاهدين، وجدية الوصول إلى نهاية الطريق. في قدميها بوت أسود بكعب متوسط السُمك والارتفاع، وفوق البوت نهاية البنطلون الجينز القصير نسبيًّا، الذي يسمح برؤية جزء من عنق البوت الأسود. وفي يدها حقيبة تخرج من البَكَرَات الخاصة بشفرتها في المنتصف، ثلاثة أرقام في الهواء القريب من قبضة يدها. الأرقام هي ٢٢٢. على كريمة من فوق جاكيت جلد أسود قصير، وحول رقبتها باشمينا تميل إلى اللون الأزرق، وعلى كتفها حقيبة يد صغيرة بسلسلة من المعدن تتحكم في عدم تأرجحها باستقامة يدها اليمنى التي تنتهي بقبضتها على الحقيبة الأخرى. صوت الخطوات على أرض الممر منتظم ورتيب ومُنوَّم، وكأنه الإيقاع اللانهائي لهبد عجلات قطار على سكة حديد. تلمع الشظية المضيئة على طاقة أنف كريمة من الخارج. يعطي الممر نفسه لخطوات البوت الإيقاعية، وكأن الطريق لمَنْ يستطيع السير فيه بصرف النظر عن الأهداف. تصل كريمة قرب نهاية الممر إلى باب غرفة. تختفي أرقام الشفرة ٢٢٢ من الهواء القريب من قبضة يدها. تطرق كريمة على باب الغرفة ثلاث طرقات حازمة بوليسية.

t.me/qurssan

٧

رجل في الخمسينيات بذقن نابتة وشعر قصير، يبدو أنه حلق شعره مع ذقنه بنفس الدرجة الأولى من ماكينة الحلاقة الكهربائية. يرتدي قميصًا يميل إلى الأزرق السماوي، وتلتف على ياقته المُنشَّاة رابطة عنق. في الانطباع الأول يبدو كرجل بنك أنيق أكثر منه مديرًا لمصنع أو شركة شمولية أو مستشفى حكومي. يبتسم الرجل لكريمة، وهو يدعوها للدخول إلى غرفة المكتب. ترد كريمة الابتسامة للرجل، وهي تقول.

كريمة: مجدي الدمنهوري.

يرد مجدي بإعلان اسم كريمة كخطوة استباق إلى الموضوع الأصلي، وهو يشير بيده إلى الحقيبة في يدها، ويقول اسمها بتزامن مع إشارته إلى الحقيبة.

مجدي: كريمة الشوربجي.

تقول كريمة مُستنكرة بمرح تسوية مجدي بين الحقيبة وبينها، وكأن مجدي لا يعنيه كثيرًا الاسم، أو ليس هناك ضرر من الاعتراف المؤقت بعدم التسوية.

كريمة: أنا كريمة الشوربجي.

تتقدم كريمة في الغرفة وتختار أحد الكرسيين أمام المكتب الكبير، وعلى الترابيزة المنخفضة بين الكرسيين تضع الحقيبة، وتسندها إلى سقف حافة المكتب. يجلس مجدي أمامها، على الكرسي الآخر، وهو يقول بلهجة هادئة.

مجدي: بالتأكيد يا آنسة كريمة.

يشير مجدي بإصبعه إلى الحقيبة، ويقطع كلماته بينما تفسح كريمة قليلًا المسافة الضيقة بين الترابيزة وركبتيها حتى تتمكن من وضع رِجْلٍ على رِجْلٍ.

مجدي: بس ديه قدرنا.

t.me/qurssan

كريمة: هوه أنا يا رفيق الأسرار

مش براءة كده؟

مجدي: كلنا أبرياء.

وراء كرسي المكتب الرئيسي صورة فوتوغرافية بالأبيض والأسود بعرض الحائط وطوله. الصورة مأخوذة لآلة بزاوية تصوير حادة وقريبة، بحيث يصعب على الناظر تحديد أبعاد الآلة، فقط يظهر في المقدمة بشكل هجومي دائرة ترس ميكانيكي كبير، ويبدو بلونه الفضي المكتوم يصدِّر إحساسًا بصلابة الحديد بينما تنفتح الخلفية على عمق أسود يخفي جسم الآلة المتبقي. تأخذ الصورة الفوتوغرافية عين كريمة.

مجدي: على فكرة.. قبل ما أكلمك في

التلفون، الميعاد اتغير في آخر لحظة.

كريمة: يعني ما كُنَّاش هنتقابل هنا؟

مجدي: لأ.

كريمة: وده يفرق كتير.

مجدي: والله ده يرجع لتاريخ التنظيم

إللي بنتعامل معاه.. أو إللي بيتعامل

معانا.. وده صعب حسمه.

تقول كريمة بلهجة مستهترة كوميدية، لكنها لهجة لا تخلو من الاهتمام، قياسًا لكلمات مجدي الباردة التي تقر حقائق لا يجب الانزعاج أمامها، وهي تميل قليلًا إلى الأمام دليلًا على أهمية ما تقوله.

كريمة: هوه تنظيم كده وش؟

مجدي: ممكن تقولي تنظيم.. ممكن تقولي

t.me/qurssan

هيئة.. ممكن تقولي مؤسسة.. يعني.

كريمة: يعني إيه؟!

مجدي: يعني في أوامر مثلًا إنك

تاخدي الشنطة وتسلميها لفلان الفلاني..

لكن إيه إللي يحصل لو ما عملتيش كده..

هنا الغموض.. المسألة مش مسألة تهديد..

لكن الحقيقة إنه مفيش حالات لعصيان

أوامر في تاريخ التنظيم.. الأدهى من ده

إن مُنظِّرين كتير من أتباع التنظيم سدوا

الثغرة ديه.. وقالوا إن التنظيم أو الهيئة

أو المؤسسة حطت في اعتبارها من البداية

احتمال العصيان أو الخطأ وسابت هامش

كبير من الفشل في كل عملية بتقوم بيها.

يقوم مجدي من أمام كريمة ويدور إلى كرسي المكتب الرئيسي، وهو يُكمل حديثه في أثناء الدوران في مُحَاوَلة منه كي يبدو حديثه شيقًا، وهو يشعر بذلك حقيقةً. يجلس على كرسي المكتب الرئيسي مؤقتًا، ويميل على ثلاجة صغيرة بجوار المكتب، وهي مُستخدَمَة ككومودينو قصير، عليها دبَّاسة أوراق وطفَّاية سجائر ولُكْشِة مفاتيح مكتب بميدالية. يفتح مجدي باب الثلاجة، ويُخرج منها علبة شوكولاتة وعلبة مياه غازية (كانز). يُقدم مجدي علبة الشوكولاتة بعد فتحها لكريمة، ويضعها أمامها على المكتب، هي وعلبة المياه الغازية. تأخذ كريمة قطعة شوكولاتة، وهي تقول بينما مجدي يُشعل سيجارة.

كريمة: مرسيه.. طيب يعني ممكن

t.me/qurssan

نقول إن تغيير الميعاد في اللحظة

الأخيرة تحصيل حاصل.. ومش

فارقة كتير.. والغلطة ملحوقة في النهاية.

مجدي: ممكن.. بس ده ما يلغيش الترتيب

والنظام والقواعد.

يُخرج مجدي في أثناء حديثه من درج سفلي أسفل المكتب مسدسًا كبيرًا، وهو يُكمل جملته إلى كريمة بلهجة تهديد مرحة، مُبتسمة لكنها مُقلقة في نفس الوقت، وهو يرخي المسدس بمعصم يده دون توجيه صريح لفوهة المسدس في وجه كريمة.

مجدي: ولو حبيتِ ما يلغيش العقاب.

تشد كريمة جذعها إلى أعلى بحركة عسكرية، وتقول بصوت يختلط مع صوت مضغ قطعة الشوكولاتة، وبلهجة عابثة مرحة، وهي تؤدي التحية العسكرية بيدها.

كريمة: عُلِم يا افندم.

تُكمل كريمة قولها وهي تأخذ الحقيبة من على الترابيزة وتعبر بها من فوق المكتب، فيأخذها مجدي من يدها مُبتسمًا، بعد أن يترك المسدس على المكتب.

كريمة: الشنطة يا باشا على ٢٢٢

وباقي لها ١٧ ساعة على التغيير.

يأخذ مجدي الطفَّاية ويدور من حول المكتب إلى جلسته السابقة أمام كريمة التي تفرك في يدها ورقة قطعة الشوكولاتة وتضعها في الطفَّاية قبل أن يصل بها مجدي إلى الترابيزة القصيرة بينهما. من وراء المكتب يبدو الترس الميكانيكي طاغيًا في حضوره بمجرد قيام مجدي من على المكتب، وهو يأخذ للمرة الثانية عين كريمة. يقول مجدي وهو يجلس مبتسمًا وشارحًا بقدر من اليأس

t.me/qurssan

في أن تصل كريمة إلى ما يريد توضيحه.

مجدي: برضه ما تفهميش كلمة العقاب

إنها كلمة نهائية.. أو على الأقل لازم

تعرفي إن المؤسسة يرتفع عقابها لمقام

القانون.. القانون يستدعي العقاب..

والعقاب يستدعي الشعور بالذنب.

كريمة: يعني أنا إللي هاعاقب نفسي؟!

مجدي: مش بالظبط.

كريمة: إزاي؟

مجدي: هاحكيلك حكاية حصلت من

سنتين لموظف في شركة كان عنده تعليمات

في مأمورية تشبه مأمورية الشنطة بتاعتنا..

في وقت معين حس العامل إنه خالف

التعليمات، فحب إنه يعترف قدَّام المؤسسة..

أو بمعنى أصح يقف قدَّام القانون وياخد عقابه..

اتحصَّل الموظف ـ مع إن ده صعب جدًّا

وشبْه مستحيل ـ على عنوان من عناوين المؤسسة..

وراح يطلب مُقابلة.. بواب العمارة قاله مفيش

حد بالوصف إللي بتقوله ده هنا.. طبعًا الموظف

ما يعرفش إيه بالظبط إللي بيسأل عنه..

هوه بيسأل عن تنظيم ولَّا مؤسسة ولَّا هيئة..

t.me/qurssan

يسكت عند كده الموظف.. لا.. يجرب عناوين تاني

ويبات في الشوارع تحت بيوت وعمارات.

ترفع كريمة إصبعها بإشارة إلى علبة الشوكولاتة على سطح المكتب، وتقول باستئذان وهي ترفع جذعها لترى داخل العلبة المفتوحة بينما يُخلِّص مجدي سيجارته من الرماد في الطفَّاية.

كريمة: في بالماورد؟

مجدي: هيه أول حاجة بتخلص..

بصي ممكن تلاقي واحدة.

تعبث كريمة بأصابعها في علبة الشوكولاتة، فتعثر على قطعة بلون مختلف عن التي أكلتها. ترفع كريمة قطعة الشوكولاتة في الهواء بروح الفوز الطفولي، وتلمع الشظية على طاقة أنفها من الخارج، وهي تقول.

كريمة: أهاها.. يعني من الآخِر

الموظف الغلبان لسع.

مجدي: برضه مش بالظبط.

كريمة: ليه تاني؟

مجدي: أقولِّك.. أي واحد بيقوم

بمهمة من مُهمات التنظيم بيكون

أوتوماتيك تحت رقابة مُشدَّدة.. المهم

إن الرقابة بتفضل موجودة بعد انتهاء

المهمة.. يعني في احتمال إن أي عنوان

من العناوين إللي بيروحها أخونا الموظف

بشكل عشوائي.. يطلع عنوان

t.me/qurssan

صحيح.. ويطلع كلام الموظف الغلبان

مش هلفطة ولَسَعَان.. وفي الحالة ديه

هتلاقي بواب العمارة فهم إيه إللي

يقصده الموظف.

تقول كريمة وهي تُكَوِّر ورقة الشوكولاتة صعبة التكوير بين أصابعها ثم تضعها في طفَّاية السجائر، بوجه شارد سارح، وتأخذ شبه مُسرنمة مُنوَّمة علبة المياه الغازية من على سطح المكتب.

كريمة: سؤال ملوش معنى..

اسمه إيه الموظف المطحون؟

ينطق مجدي اسم موظف الشركة بلهجة عامية تُبدِل القاف ألفًا مع إشباع الضم في الألف. أُووطَّة العدوي.

مجدي: قطة العدوي.

t.me/qurssan

٨

تفتح جمالات باب الغرفة. يدخل خالد وهو يحمل في يده كتاب «خسوف كلي»، ويرتدي تيشيرتًا قطنيًا بكُم عليه جاكيت جلد بني قصير مفتوح، وبنطلون ترينج سميكًا قطنيًا بإسورة قابضة عند قدميه، وفي قدميه جزمة رياضية بثلاثة خطوط جانبية كلاسيكية. غرفة سعد الدين عمران بحجم غرفة خالد تقريبًا، إلا أنها تبدو أكثر ضيقًا بسبب اللوحات المتراكمة أسفل الحوائط، وحامل لوحات في منتصف الغرفة، وترابيزة عليها غابة من برطمانات ألوان وفُرشات ألوان وسكاكين معجون ومِزَق من الصنفرة الخشابي والحدادي، وتماثيل جصية مكتملة وغير مكتملة في زوايا الغرفة وعلى قاعدة النافذة، وقطع من حديد الخردة والجرانيت، ومسدس لحام، وأنبوبة غاز كبيرة، ومنجلة مُثبتة في ترابيزة أخرى عليها أزاميل ومناشير ومبارد وفارة وعلب مليئة ببرادة حديد، ونشارة خشب ومراين من خشب الورد بمختلف الأحجام على أرض الغرفة، وثلاجة من النوع المستخدم في المحلات التجارية بابها يُفتح لأعلى. من وراء ستارة الشرفة وستارة النافذة يحضر صوت البحر بوشيش مكتوم. شيش الشرفة والنافذة مُشنكل، وقماش الستارتين من الشبيكة المُخرَّمة، ولهذا تحتفظ غرفة سعد الدين عمران بضوء نهار معتم إلى حد ما. يتعثر خالد بقدمه في برواز خشبي فارغ على أرض الغرفة، وهو يتجه إلى سرير أشبه بمصطبة ليس لها ظهر. يجلس على السرير سعد الدين عمران مُستخدمًا حائط الغرفة بديلًا عن ظهر السرير. يبدو سعد الدين عمران في الستينيات من عمره، بشعره الرمادي، وتجاعيد وجهه. يرتدي سعد الدين عمران جلابية بيضاء فضفاضة عليها لطشات ألوان هنا وهناك. يفتقد سعد الدين عمران التناغم بشكل صارخ بين ساقه المبتورة والأخرى السليمة وهو يحاول أن يقترب من السرير بحركته لمصافحة خالد بمساعدة ابنته مريم التي تبدو في الثلاثينيات من عمرها، والتي تبتسم لخالد بعينين واسعتين وهي تأخذ خُدَّدية من على السرير ليسند بها والدها وضعًا مريحًا، بينما تعبث قدمه السليمة

t.me/qurssan

بتقريب خُدَّدية ثانية ثم تمريرها سريعًا للساق المبتورة من فوق الركبة فتبدو كتلة اللحم الغامضة تحت الجلابية وتزداد ارتفاعًا. يمد سعد الدين عمران يده أخيرًا إلى خالد للمصافحة ثم يشير إليه ليتفضل بالجلوس على طرف السرير، وكأنَّ معركة عدم التناغم وافتقاد الهارموني والانسجام في الحركة كانت في الأساس لتوسيع مكان لجلوس خالد على طرف السرير، وكأنها أيضًا معركة لمداراة الإحراج من بؤس الحركة وصعوبتها.

سعد الدين عمران: أهلًا بيك يا خالد..

اسمحلي خالد كده حاف من غير

غموس.

يجلس خالد بأدب وراحة على طرف السرير، لكنه لا يتأثر من إحراج سعد الدين عمران المسرحي بعض الشيء، وكأنَّ خالد أقوى نفسيًّا من هذا التأثر، وعلى الرغم من هذا لا يأخذ خالد كل المساحة التي افترضها سعد الدين عمران، ويضع في باقي المساحة التي هي من حقه، كتاب «خسوف كلي». يقول خالد مُبتسمًا.

خالد: يا سلام إحنا نتشرَّف يا أستاذ

عمران.

ترجع مريم إلى جلستها على صندوق خشب مُزخرف أمام السرير، وهي تدفع بقدمها الساق الصناعية تحت السرير، لكن قصبة الساق الخشبية بحذائها المدبب ما زالت ظاهرة لعين خالد الذي يسترق النظر إليها ثم تتجه عيناه بغير قصد إلى الباب الفاصل بين غرفته وغرفة سعد الدين عمران، فتقع عيناه على الثقب الشائه شبه المظلم. يشير سعد الدين عمران في الهواء ناحية الثقب الشائه في الباب الواصل بين الغرفتين، وهو يقول بلهجة اعتذار موجهًا كلامه لخالد بينما تبتعد مريم قليلًا بصندوقها كي تصل إشارة والدها مباشرة إلى الثقب الشائه، وهي تلتفت أيضًا ببراءة ناحية الثقب ثم تعود بنظرتها.

t.me/qurssah

سعد الدين عمران: آه.. أنا آسف على حادثة العنف

الصغيرة.. فلتت أعصابي.. كنت شارب شوية.

والبراندي سخَّن الدم في عروقي. فتهيألي

إني بامد رِجْلي لعَالَم تاني.

خالد: ولا يهمك.. بتحصل في أحسن العائلات.

يبتسم سعد الدين عمران وهو يستعدل جسمه الثقيل بإسفين الخُدَّدية تحت جذعه وينظر إلى مريم التي تتجاوب معه في الابتسامة بينما تقترب جمالات قليلًا من الخلف وهي أيضًا تبتسم وكأنَّ قول خالد أراح الثلاثة معًا. تقول جمالات وهي تميل برأسها من الخلف بصوت هادئ قريبة إلى حد ما من جانب وجه خالد.

جمالات: تشرب إيه يا أستاذ خالد؟

خالد: ميَّه.

مريم: بس!

خالد: إنتِ هتضيعي عليَّ

أكلة السمك.

مريم: سوري.. نسيت.

تتجه جمالات إلى باب الغرفة، فيدركها سعد الدين عمران بيده الممدودة ويقول لها وإشارة يده تذهب إلى الثلَّاجة القريبة من النافذة، فتعود جمالات لمنتصف الغرفة.

سعد الدين عمران: جمالات.. علبة سجاير.

تفتح جمالات باب الثلَّاجة إلى فوق، ويُعاكسها طيران طرف الستارة الشبيكة المُخرَّمة على وجهها، بهواء البحر، فتفصل وجهها عن تحرش هواء البحر والستارة الشبيكة المُخرَّمة بحافة الباب المرتفع إلى أعلى. الثلَّاجة مليئة بأكياس مجمدة خضراوات

t.me/qurssan

ولحوم وآيس كريم، وفوق هذا في المنتصف تتمدد ساق حقيقية مبتورة إلى ما بعد الركبة وهي ملفوفة في كفن مُحكم من الشاش يُجسد قوامها من مشط القدم لانسياب القصبة وصولًا إلى ارتفاع هضبة الركبة، وعلى طول الساق المبتورة المُكفَّنة هناك بقع دماء ذهبث إلى لون داكن. تأخذ جمالات من خرطوشة سجائر ميريت مفتوحة ومزنوقة بين كيس شوربة خضار ولفة سجق إسكندراني. تأخذ علبة من الخرطوشة ثم تغلق باب الثلَّاجة وهي تعود إلى اتجاه الباب، وتقذف في أثناء سيرها علبة السجائر في الهواء ناحية السرير بطريقة فيها الكثير من الود والعشم بين خادم ومخدوم. يلتقط سعد الدين عمران علبة السجائر وهو يميل إلى الوراء، فيرتفع طرف الجلابية القريبة من المنامة، وتظهر لعين خالد بشكل خاطف كتلة اللحم المطبوخة بعظامها داكنة بنيَّة مُخيفة. بشكل آلي سريع تسترجع يد سعد الدين عمران طرف الجلابية ثم يستعيد وضع الخُدَّدية لمرتكزه الجديد. تقول مريم لوالدها بنظرة ذات معنى، وهي تمسك طرف حوض البلوزة الصوفية الخفيفة ضيقة الغرزة بأزرارها ضيقة المسافات التي تشتبك بالعافية في العروات المقابلة.

مريم: بابا.. العلبة التانية.

ينزع سعد الدين عمران الورقة الشفافة عن علبة السجائر. في فضاء السرير بجواره طقَّاية سجائر وولاعة أبعد قليلًا وقصَّافة أظافر ومِفك وزرَّادية أكثر بعدًا. ينظر سعد الدين عمران باستكانة إلى ابنته طالبًا العطف المُرفَّه الذي تمنحه أسرة مدمن لا يستطيع الخروج من إدمانه. يوجِّه سعد الدين عمران كلماته بنفس النظرة إلى خالد، وهو يشرح له القصة مستعينًا بعلبة السجائر.

سعد الدين عمران: دايمًا وأبدًا وعلى طول..

وتقدر تقول لما لا نهاية.. كل علبة سجاير

جديدة بابدأ معاها صفحة جديدة ووعْد

جديد.. التخفيف.. الحقيقة أول سبع سجاير

t.me/qurssan

من وش العلبة هما الأمل والوغد.. الوش

التاني والتالت من العلبة هما اليأس والخيبة.

يقول سعد الدين عمران بسخرية وهو يميل إلى الأمام موجهًا كلماته مبتسمًا إلى ابنته ساحبًا السيجارة الأولى من وش العلبة.

سعد الدين عمران: يعني تقدري تقولي

على الأقل.. إني في التلات علب إللي

باشربهم في اليوم. باخفِّف في التلات

وشوش الأولنيين من التلات علب..

يعني سبعة في تلاتة بواحد وعشرين..

دول ما يتحسبوش من الستين سيجارة..

يا ظالمة.

يغتصب سعد الدين عمران من مريم بالعافية ابتسامة هي المُكافأة الاضطرارية لتحايل تحليله، ويشاركها خالد بابتسامة أيضًا وهو يقول لسعد الدين عمران.

خالد: خد واحدة زيها يا عم سعد..

لما ركبني الهسهس فترة في التخفيف..

كنت باوزِّع مِزواحي لِشرا السجاير على

تلات تكْشاك جنب البيت.. عشان أتفادى

الكلمتين الرخمين إللي ممكن يقولهم

صاحب الكشك.. إنت بتدخن كتير يا أستاذ..

طبعًا أنا كنت مثبِّت نفسي.. بيني وبين نفسي..

إني مخفف.

t.me/qurssan

تضحك مريم وتقول لخالد بينما يشعل سعد الدين عمران سيجارته، وتدخل في تلك الأثناء جمالات وهي تحمل صينية عليها زجاجة مياه وفنجان قهوة إسبرسو وسكَّرية وملعقة، وتضعها على السرير بين خالد وسعد الدين عمران.

مريم: أهلًا بيك جنب إخواتك.

توجه مريم وهي تشد لأعلى حز التيشيرت من تحت البلوزة كلماتها لجمالات التي تنسحب قليلًا إلى الوراء.

مريم: جمالات.. فتحي عمل شواكيش

الكابوريا؟

جمالات: أيوا.

يفك خالد غطاء زجاجة المياه بينما يرتشف سعد الدين عمران الرشفة الأولى من فنجان القهوة، وهو يسحب على السرير كتاب «خسوف كلي»، ويقلب الكتاب على السرير ليعتدل عنوانه أمام عينيه. يتابع خالد نظرة سعد الدين عمران إلى الكتاب، ويقول وهو يرفع زجاجة المياه على فمه.

خالد: فاكره طبعًا.

سعد الدين عمران: أكيد.

خالد: بص في النسخة كويس.

ينظر سعد الدين عمران باستغراب إلى خالد الذي يُخرج علبة سجائر مارلبورو من جيب الجاكيت ويشعل واحدة. يقول سعد الدين عمران بثقة وتهكم وهو يستعدل مرفقه على الخُدَّدية.

سعد الدين عمران: أيوا سيادتك عارف

الكتاب وقريته كتير.. وعندي منه نسخة.

خالد: مش قصدي.. ديه النسخة إللي

t.me/qurssan

خرجتْ على إيدك تسع مرات من المكتبة

العامة.

ينظر سعد الدين عمران بدهشة إلى خالد، وهو يفتح كتاب «خسوف كلي» ثم يذهب إلى الجلدة الداخلية، فيجد الجراب الكرتوني المُثبَّت في الجلدة، وبه فيشة الاستعارة، الممهورة بتواريخ خروج الكتاب، وباسمه أمام التواريخ. يقول سعد الدين عمران مُبتسمًا بانفعال.

سعد الدين عمران: يا راجل!

خالد: مُفاجأة.

سعد الدين عمران: أنا كنت فاكر لمَّا

كلمتني في التلفون إن المُقابلة ليها

علاقة بشغلي.. كمان أنا كنت بافكَّر في

حاجة ليها علاقة بأسرتك والدردشة

بينت لي حاجة من نفس النوع إللي إنت

كنت بتفكَّر فيه.. يعني أنا كمان عندي

مُفاجأة ليك.

تمد مريم يدها إلى والدها لتأخذ منه كتاب «خسوف كلي». تنظر في الكتاب من الخلف ثم تنظر في فيشة الاستعارة، وتقرأ بصوت مرتفع قليلًا يكفي فقط لسمع خالد وسعد الدين عمران وهي تنظر لغلاف الكتاب.

مريم: «خسوف كلي».. تأليف «جاليليو جاليلي»..

ترجمة الفقير لله «عبود شيخ الأرض»..

واو.. الكتاب ده عندنا في البيت؟!

t.me/qurssan

سعد الدين عمران: أيوا.

تسمع جمالات طرقًا على باب الغرفة القريب منها، فتلتفت إلى الباب وتفتحه. يقف في حلق الباب فتحي زوجها، أربعيني العمر، بشعر منكوش، ووجه ناعس. دون كلمات يمد لها شاكوشًا خشبيًّا صغيرًا. تقول له جمالات.

جمالات: عملت كام واحد؟

فتحي: تلاتة غير ده.

يسأل ثم ينادي سعد الدين عمران، السؤال لجمالات التي تلتفت له وتهز رأسها بأن نعم، والنداء لفتحي يدعوه للدخول.

سعد الدين عمران: فتحي؟

فتحي: أيوا يا عم سعد.

سعد الدين عمران: ادخل شوف الباب.

يدخل فتحي بثقل إلى الغرفة، يرتدي بنطلونًا ساقطًا على خصره، وانطبعت عليه آثار الجلوس فبقي عند الركبتين منفوخًا بالهواء. يشير سعد الدين عمران إلى الثقب الشائه في باب الغرفة الفرعي. يتقدم فتحي بلامبالاة ناحية الثقب ويتحسس بيده حدود الثقب ثم يحاول الضغط على أكرة الباب فيقول له سعد الدين عمران.

سعد الدين عمران: لا.. مقفول..

شوف بس الفتحة هتعمل فيها إيه؟

تقترب جمالات من مريم وتناديها بصوت منخفض وهي تمد لها الشاكوش الخشبي الصغير، بينما فتحي يهرش في مؤخرة رأسه وهو ينظر إلى الثقب وكأنه يفكّر فيما سيصنعه، ويتابعه خالد وسعد الدين عمران بنظراتهما.

جمالات: أستاذة مريم.

يجذب خمول فتحي ورد فعله البطيء نظرة مريم أيضًا مع

t.me/qurssan

ابتسامة تشي بأنها تعرَّضت لهذا الخمول قبل ذلك في مواقف أخرى. تجرِّب مريم الشاكوش الخشبي في بطن يدها ثم تهدد خالد بأنها ستنزل به على ركبته وهي تضغط بأسنانها العلوية على شفتها السفلية، فيفرد لها يده حمايةً لركبته، فتنزل برفق على يده، فيهز رأسه ويد الحماية مُستفهمًا عن الشاكوش، فتقول له بتحريك شفتيها دون صوت.

مريم: كابوريا.

يحك فتحي جبهته تاركًا ثقب باب الغرفة الفرعي دون النظر لأحد متجهًا إلى الخروج من باب الغرفة الأصلي، فيقول له سعد الدين عمران ساخرًا.

سعد الدين عمران: إيه يا باشمهندس؟

فتحي: هاغيَّر الدرفة.

تضرب جمالات بشكل مُفاجئ ظهر فتحي بكفيها من الخلف على لوحي كتفيه، وهي تبتسم وكأنها تودعه على الباب وداع الخيبة، فيلتفتُ فتحي بحدة مُكوِّرًا قبضتيه في وضع استعداد مصارع، فتخاف جمالات وتجري إلى سرير سعد الدين عمران بخطوتين، وهي تضحك وترتمي نصف ارتماءة على السرير، مُستنجدة بسعد الدين عمران الذي يرفع يده لكبح جماح فتحي الذي لا يتحرك بعد وضع استعداد المصارع. تقول جمالات ضاحكة.

جمالات: كانت جوازة ندامة.

سعد الدين عمران: خلاص يا فتحي.

يهدأ فتحي ويرخي قبضتيه بعد أن تقدَّم قليلًا ناحية السرير من جهة باب الغرفة الأصلي، ويهدأ أيضًا نَفَسه الذي تسارع بعد ضربة جمالات. يلتفتُ فتحي إلى باب الغرفة كاظمًا غيظه، بينما يقول سعد الدين عمران لجمالات في الوقت الذي يفتح فيه فتحي باب الغرفة الأصلي للخروج.

سعد الدين عمران: روحي شوفيه.

t.me/qurssan

تتقلص الابتسامة على وجه جمالات بشيء من الأسف، لكنها ما زالت ابتسامة عابثة غير مسؤولة، وتقوم من على السرير وقد فلتت من قدمها فردة الشبشب أبو صباع في أثناء ارتمائها على السرير. تنادي جمالات على فتحي، وهي تخرج من باب الغرفة الأصلي، وتغلقه وراءها.

جمالات: توحة.

يزيح خالد من تحت قدميه كومة صغيرة من نشارة الخشب، بينما يشعل سعد الدين عمران سيجارة ثم يميل إلى الوراء، ويأخذ من على رف خشبي طويل مُثبَّت في الحائط فوق السرير، أجندة تلفونات فيها صورة فوتوغرافية تخرج حدودها بشكل واضح عن حدود أجندة التلفونات. يقول سعد الدين عمران وهو يُقدِّم الصورة الفوتوغرافية بالأبيض والأسود إلى خالد.

سعد الدين عمران: شوف الصورة ديه.

يأخذ خالد من سعد الدين عمران الصورة الفوتوغرافية التي يبدو فيها رجلان وسيدتان وطفلان يجلسون على رمل شاطئ، وفوقهم شمسية بحر. الرجلان والسيدتان ينظرون بشكل تقليدي لعدسة التصوير الفوتوغرافي، بينما يلهو الطفلان في مُقدمة الصورة، بعيدين قليلًا عن ظل الشمسية، أمام بيت رملي غير عابئين بعدسة التصوير الفوتوغرافي. يقول خالد بعد التدقيق في الصورة الفوتوغرافية، وابتسامة دهشة ترتسم على وجهه.

خالد: إيه ده.. إيه إللي جابني هنا؟!

سعد الدين عمران: مش قُلتلك مُفاجأة..

بس إنت عرفت نفسك بسرعة.. كنت فاكر

إنك هتعرف الوالد والوالدة الأول.

خالد: ما إللي إنت ما تعرفوش إن الصورة

ديه عندنا واحدة منها في ألبوم العيلة.

t.me/qurssan

تقوم مريم من على الصندوق الخشبي المُزخرف وتنظر إلى الصورة الفوتوغرافية من وراء ظهر خالد تقريبًا، قريبة من جانب وجهه وهي تسند يدها على كتفه، بينما يقول سعد الدين عمران، وهو يرفع كتلة ساقه المطبوخة ليُجدِّد حشْر إسفين الخُدَّدية تحتها.

سعد الدين عمران: يا راجل.. طب عرفت

مين إللي في الصورة غيرك وغير الوالدة

والوالد؟

خالد: قرايب أو أصحاب من تلاتين

سنة؟ مش عارف.. بس الكلام حوالين

مين دول.. كان قليِّل.. خصوصًا إن

ما تكررتش صور تانية للناس دول

في ألبوم العيلة.

تقرَّب مريم وجهها من الصورة الفوتوغرافية، ويبدو أنها تُدقق في الطفلة الصغيرة ذات الأعوام الأربعة التي تلهو في الصورة الفوتوغرافية بجوار بيت الرمال، وتقول وهي تزداد ضغطًا على كتف خالد، وتشير بإصبعها للطفلة بدهشة وابتسامة.

مريم: إيه ده؟ ده أنا!

يلتفت خالد في المساحة الضيقة المُتاحة لبَزجل رقبته، فيكاد وجهه يصطدم بزاوية فم مريم، بينما يقول سعد الدين عمران وهو يرفع إصبعه مُشيرًا عمياني من فوق الصورة، والغريب أن إشارته تأتي في مكانها.

سعد الدين عمران: وده أنا.. وديه مامث مريم..

بعد اللقطة ديه انكسر كرسي البحر.. راحث

t.me/qurssan

رِجلي هادة بيت الرمل.. وقعدت تعيط إنت

ومريم.

ينظر خالد إلى كتلة اللحم المطبوخ تحت جلابية سعد الدين عمران ثم إلى جزء من الساق الصناعية تحت السرير، فيقول سعد الدين عمران بلهجة تأثُّر.

سعد الدين عمران: هيه نفس الرِّجل.. بس

في الصورة كانت حقيقية.. الحادثة حصلتلي من تلات سنين.

ترفع مريم قامتها تاركة كتف خالد من نصف تحميلها عليه، وتقول وهي تتجه إلى الثلَّاجة وتدفع رأس خالد من الخلف بمُعاكَسة.

مريم: وأنا أقول واخدة عليك ليه!

تفتح مريم باب الثلَّاجة إلى أعلى فيناوش وجهها طرف الستارة، ومن وراء الستارة فُرجة الشبَّاك المُشنْكَلَ، ومن وراء الفُرجة هواء البحر، ومن وراء الهواء زرقة المدى وانحباسه في مستطيل الفُرجة. تُزيح مريم دون انفعال جسم الساق الحقيقية المبتورة، وتغرق بطول ساعدها لتُخرج علبة آيس كريم. تُغلق مريم باب الثلاجة، وتعود إلى جلستها على الصندوق الخشبي المُزخرف، لكنه كان مشغولًا بكتاب «خسوف كلي» وشاكوش الكابوريا. تعطي مريم كتاب «خسوف كلي» لخالد ثم تضع شاكوش الكابوريا على الباركيه بجوار الساق الصناعية، وهي تشير لخالد كي يعطيها الملعقة الصغيرة من صينية القهوة على السرير. تنزع مريم غطاء الآيس كريم الورقي وتعطيه لخالد وتأخذ في نفس الوقت الملعقة. يقول سعد الدين عمران مُتابعًا حديثه لخالد وهو يشير إلى الثقب الشائه في باب الغرفة الفرعي.

سعد الدين عمران: الغريب إني افتكرت

هدد بيت الرمل.. بس.. لمَّا رِجلي خرمث

t.me/qurssan

الباب.. آه الزمن يا صاحبي.. قالّك إنتَ

ما بتنزلش البحر مرتين.. إنتَ نفْسَك بتتغيَّر

في كل مرة.. والبحر بيتغيَّر كمان..

والمسمار الوحيد الثابت.. المدقوق في صلب

الوجود.. هوه.. تكرار فعل النزول.. بس خدْ

بالك إن فعل النزول ملوش قيمة إلا بمعرفة

حده النهائي.. وبالصدفة فعل النزول لانهائي..

عشان كده ملوش قيمة.. ولإن تحديد قيمة شيء ما

تِبدأ بس لمَّا ينتهي وجوده.

خالد: يعني تقريبًا ممكن نقول.. لا الشيء

ولا وجوده.. ولا وجودي.. لا اهتمام من أي

نوع.. ورغم كده.. إنتَ سعد الدين عمران..

لسه بتدوَّر على ضربة رِجْل مفقودة.. لا

بحث يُثير اهتمام.. حتى إللي بيساوي أهمية

البحث عنُّه.. المتعة إللي بناخدها ما بناخدهاش..

أدِّي إللي خدْته.. وآخد إللي ادِّيته.

سعد الدين عمران: أدِّيك.

يضحك خالد وسعد الدين عمران ومريم وهي تأكل الآيس كريم قالبة ظهر الملعقة على فمها مما يوحي ببراءة ومرح ودلع طفولي، وتقول وهي تُشير بالملعقة إلى خالد وسعد الدين عمران على التوالي، وترفع لهما الملعقة في الهواء لحين استيعاب كتلة كبيرة من الآيس كريم تقوم بتخفيف برودتها من جانب الفم إلى الجانب الآخر. تقول مريم بعد نجاحها في امتصاص البرودة.

t.me/qurssan

مريم: جواسيس على الزمن.

t.me/qurssan

المطبخ واسع، وفي المنتصف ترابيزة مُربَّعة صغيرة، تحت كل ضلع قرص كرسي خشب من غير ظهر، تختفي أقراص الكراسي قليلًا تحت أضلاع الترابيزة إلا قرص الكرسي الذي يجلس عليه فتحي مُستندًا بمرفقه على حافة الترابيزة مهمومًا سارحًا بنظرة تقع تقريبًا على بلاط المطبخ فاتحًا فمه قليلًا. تنظر جمالات من على جنب إلى زوجها وهي تصنع له كوبًا من الشاي على عين صغيرة من البوتاجاز الكبير، بجوار البوتاجاز على الحوض المعدني مصفاة فيها خمس كابوريات ضخمة عليها شرائح من الليمون، ومصفاة أخرى بها شرائح كاليماري وجمبري مغطاة بطبقة من الدقيق، وفوق الحوض تتدلى في الهواء طاسات نحاسية بأحجام مختلفة. تصب جمالات الشاي في كوب زجاجي، وتضعه على الترابيزة بجوار ثلاثة شواكيش صغيرة رشيقة من الخشب، في طبق فنجان قهوة أمام فتحي. تقول جمالات لزوجها.

جمالات: شوية شاي بقى يا توحة..

بس إيه.

يُخرج فتحي من عمق جيبه علبة سجائر مكزمشة ومشط كبريت معجونًا بالعرق، ثم يستخرج السيجارة الوحيدة من علبة السجائر المكزمشة وكأنه ينتشل جثة من سيارة اصطدمت بشجرة. تقول جمالات تعليقًا على صمت فتحي الخامل البليد.

جمالات: خلاص يا توحة.. كنت باهزَّر.

يشعل فتحي السيجارة الملتوية، ويقول ونظرته ما زالت شاردة على بلاط المطبخ، وهو يهرش شعر قفاه الكثيف.

فتحي: إنتِ بتهزَّري.. وأنا الورشة

هتضيع منِّي.. هزَّري زي ما إنتِ

t.me/qurssan

عايزة.. بس ساعة الجد لازم تقفي

جنبي.. الورشة أكل عيشي.. وإنتِ

مراتي إللي بتحب الهزار.

يأخذ فتحي رشفة طويلة من الشاي بينما تنظر إليه جمالات وهي تنخل شرائح الكاليماري والجمبري من الدقيق الزائد عن الحاجة، تهز المصفاة بين يديها في قعر الحوض. تقول جمالات باستغراب.

جمالات: قصدك إيه يا فتحي.. إش

جاب الهزار للورشة؟

فتحي: الورشة بتفضى.. بتهوِّي..

وإنتِ ولا على بالك!

جمالات: بتفضى إزاي يعني؟!

فتحي: عم سعد.

جمالات: ماله؟

فتحي: من يوم ما فصَّلتله الرِّجل

الخشب.. وهوه خد على إني أشتغل

في أوضته بدل الورشة.. في الأول

ما خدتش في بالي.. وبعد شوية

لقيت الورشة بتفضى من العدة..

وبقت زي عيادة السِّنان.

تبتسم جمالات وهي تأخذ طاسة من الطاسات النحاسية المُعلقة فوق الحوض المعدني، وذلك بشبَّة من قامتها كي تُفلت عروة الطاسة المُعلقة، وتقول لزوجها.

t.me/qurssan

جمالات: وإنت روحت قبل كده عيادة

دكتور سِنان؟

فتحي: لأ.

جمالات: طيب.

فتحي: طيب إيه؟ ورشة نجارة لمَّا

تفضى.. مش تبقى زي عيادة دكتور

سِنان؟!

جمالات: أيوا.. إنت شفت عيادة فين؟

فتحي: في التلفزيون.

جمالات: وكانت فاضية؟

فتحي: هِوْ.

يقول فتحي كلمة «هِوْ» وكأنه يتخيل في رأسه اتساع عيادة الأسنان، ولهذا يضغط على الكلمة بينما تشعل جمالات عين البوتاجاز الكبيرة وتضع عليها الطاسة النحاس وتأخذ من درفة سفلية في المطبخ زجاجة زيت وتفرغ نصفها في الطاسة النحاس. يقول فتحي لزوجته وهو يتخلص من رماد سيجارته في طبق الفنجان تحت كوب الشاي الزجاجي.

فتحي: هيه الأستاذة مريم دكتورة

سِنان؟

جمالات: ما اعرفش.. متهيألي

لأ.

فتحي: يعني ما عندهاش عيادة؟

t.me/qurssan

جمالات: عمري ما سمعتها بتجيب

سيرة عيادة.

فتحي: وده يطمَّن يعني.. ما عم

سعد عمري ما سمعته بيجيب

سيرة عيادة.

t.me/qurssan

١٠

يجلس خالد ومريم على شاطئ البحر. ملابسهما نصف شتوية. في منتصف المسافة بين بيت سعد الدين عمران وبين جلسة خالد ومريم يتجه سعد الدين عمران وجمالات إلى خالد ومريم. يرتدي سعد الدين عمران بنطلونًا من القطيفة المُضلَّعة واسعًا على ساقيه قصيرًا بعض الشيء، وعلى نصفه العلوي جاكيت من التويد، تحته قميص خفيف، تغرس قدمه اليمنى الصناعية في رمل الشاطئ، وقد أكسبته الساق الصناعية مشية مميزة، وذلك بتطويح يديه في الهواء لدفع كتلة جسده الثقيل إلى الأمام. فردة الحذاء المدببة في القدم الصناعية غير الأخرى في القدم اليسرى، الأولى لا تعطي الانطباع بانحناءة الفلات فوت الطبيعية، والثانية خفيفة رشيقة من القماش، وكأنها تثأر من القدم الصناعية. تمشي جمالات بجوار سعد الدين عمران وهي تحمل في يدها كرسيًّا مطويًا للبحر. تراعي جمالات في مشيتها مشية سعد الدين عمران، وبين الحين والآخر تتلقف يدها إحدى تطويحات يديه الهوائية. ترفع مريم يدها من جلستها تحية للوالد. السماء تختفي تحت قبة سحابة بحجم السماء، فتبدو زرقة البحر قاتمة. يجلسان على ترابيزة أمام البحر، الترابيزة مُحاطة بأربعة أعمدة معدنية مدقوقة في رمل الشاطئ، وفي نهاية الأعمدة قطعة قماش من قلع المراكب مشدودة للظل. على الترابيزة فرخ مُزدوج من ورق الجرائد، وعلى فرخ الجرائد زجاجة واين أبيض وثلاث كؤوس كبيرة وثلاثة شواكيش خشبية وشاكوشان، وطبق كبير عليه خمس كابوريات وردية قاتمة، وطبق آخر عليه شرائح الكاليماري الذهبية والجمبري الجامبو، وطبق صوص بمحار البكلاويز، وطبق خوص به خبز أبيض. تقول مريم وهي تصب في كأسين الواين الأبيض. يصل سعد الدين عمران وجمالات إلى مُربَّع جلسة الطعام. تفرد جمالات كرسي البحر بجوار ترابيزة الطعام، بحيث يكون سعد الدين عمران مواجهًا للبحر، منخفضًا قليلًا عن ارتفاع ترابيزة الطعام. تنسحب جمالات عائدة إلى البيت. تنظر مريم إلى والدها، وهو يستعدل

t.me/qurssan

جلسته على كرسي البحر بمسنده المتراجع إلى الوراء، وتقول عابثة بعد أن يستقر بصعوبة في وضع مريح فاردًا ساقه الصناعية بينما ساقه الأخرى خفيفة رشيقة.

مريم: بابا.. مالك واطي كده؟

سعد الدين عمران: أنا واطي يا مجرمة!

تضحك مريم ويضحك سعد الدين عمران ويبتسم خالد. تقول مريم بينما لا يزال والدها في معركة الاستقرار على وضع وهو يُخرج من جيبه سجائره وولاعته.

مريم: مش هتاكل؟

سعد الدين عمران: لأ.. إدِّيني بس شوية

واين.. وقبلهم جمبريَّاية.

تقول مريم وهي تصب لوالدها كأسًا من الواين الأبيض بينما يأكل خالد هلالًا من الكاليماري ويتبعه برشفة واين.

مريم: هتمز بس؟

سعد الدين عمران: جمبريَّاية واحدة.

تنظر مريم إلى والدها بغضب مصطنع، وتُغالب ابتسامة وهي تعطيه كأس الواين ثم تتجه بأصابعها لانتقاء جمبريَّاية، وتقول مُحذِّرة مُهدِّدة كأنها تعرف مُستقبلًا سيناريو جلسة الطعام.

مريم: بابا.. إنتَ هتشغَلْني طول القعدة؟

يأخذ سعد الدين عمران كأس الواين من ابنته ويضعها بجواره على رمل الشاطئ ثم يأخذ منها الجمبريَّاية المنفوخة الكبيرة. تقول مريم وهي تنظر لخالد.

مريم: زي العيال.. دايمًا يقعد

جنب الأكل.. وحد يناوله حتة.

t.me/qurssan

خالد: أبوكِ برضه.

مريم: تستلم إنتَ الحضانة؟

خالد: مش للدرجة دي.

يلوي سعد الدين عمران رأسه لينظر إلى خالد وعلى ملامحه علامات العتاب، ويقول وهو يمضغ الجمبريَّاية بتأنٍ عائدًا بنظرته إلى مدى البحر.

سعد الدين عمران: حلمت مرة إني كنت

قدَّام بوتاجاز عليه مشروب قزَّب يغلي..

حطيت على المشروب إللي إيدي طالته

من على الترابيزة.. وكان المفروض إن

الإضافات تخلي المشروب ألطف.. لكن

إللي حصل إن كل إضافة باحطَّها كانت

بتخليه يتخن أكتر.. وريحته تِوْحَش أكتر..

لغاية ما جه واحد وصفَّى المشروب وصبه

في خمس كوبيات.. واداني كوباية.. قُلتله

أنا حاسس بالذنب.. بس مش للدرجة دي.

يضحك خالد وتضحك مريم ويبتسم بسخرية سعد الدين عمران وهو يأخذ رشفة من كأس الواين ثم يضعها مرة ثانية بجوار مسند كرسي البحر، على رمل الشاطئ. تقول مريم لخالد وهي تكسر بالشاكوش الخشبي الصغير صدفة الكابوريا.

مريم: بمناسبة إني قاعدة بين اتنين مش

بني آدمين للدرجة دي.. هأقولّك أنا فكَّرت

في إيه.. بس ما تزعلش.

t.me/qurssan

خالد: أرجوكِ.

مريم: أرجوكِ.. هتزعل؟

خالد: أرجوكِ قولي.

مريم: من الأول عرفت إن الناس

مش حاجة مهمة بالنسبة لك.. مجرد

أدوات لبحثك الكبير.. لكن إللي صدمني

فعلًا وازْبَهَليت قدَّامه.. إن حتى أسرار

الناس ديه ما بتحركش جواك حاجة.

سعد الدين عمران: يا شيخة مش للدرجة دي.

يأخذ خالد الكابوريا من الطبق ويكسر صدفتها بالشاكوش الخشبي على ورق الجرائد بعيدًا عن الطبق، بينما تغمس مريم لقمة صغيرة في صوص المحار وتمصمص أصابعها بعد أكل اللقمة، وتُكمل حديثها، وهي تضحك على تعليق والدها المشاغب.

مريم: ما انتاش بارد لا سمح اللّه..

كإنْ في حاجة تانية.. مثلًا كإن حد

قفشك مرة نص نايم على كرسي بحر

مستني بتعصُّب وحماس وضيق أفق

مُشجِّع كرة قدم.. عَزْل الروح

في حتة ضلمة.. وهِنَاك وبحجة النقاء

يتم تصفيتها من كل إللي بيتنسب ليها.

يقول خالد وهو يأخذ رشفة من كأس الواين وراء هلال ملتوي من الكاليماري ويرفع إصبعه في وجه مريم بمرح.

t.me/qurssah

خالد: ما تنسيش إني مجرد مُشجِّع

على قتل الروح.. مش القاتل الحقيقي..

مُراقب بس.

مريم: مُراقب زمن.

خالد: أنا راضي بالتُّهمة الأولى..

جاسوس على الزمن.

سعد الدين عمران: أنا أيدت الوصف

ده قبل كده.

يشير سعد الدين عمران سريعًا إلى ابنته وإلى ترابيزة الطعام وكأنه لا يريد لها أن تعترض على طلبه الطفولي.

سعد الدين عمران: اقطعيلي بقى رِجل

كابوريابة ودغدغيهالي بالشاكوش.

تنظر مريم إلى والدها شزرًا يُبطِّنه الزيف، ثم تفصل رِجل كابوريابة وتكسرها قليلًا بالشاكوش الخشبي وتعطيها له وهي تقول بلهجة دالة واخزة كسن الإبرة، وتعود بعدها لتوجيه الحديث لخالد الذي يلمح وخز الإبرة أيضًا.

مريم: دايمًا غاوي رِجلين.

يأخذ سعد الدين عمران رِجل الكابوريابة ويقول لنفسه وليس لمريم وخالد بصوت منخفض وتقع عينه على رِجله الصناعية الممدودة على كرسي البحر.

سعد الدين عمران: سوابق.

مريم: إيه إللي ضاع منَّك يا كابتن؟

خالد: طيب.. الحكاية إن في حكاية

t.me/qurssan

اسمها حكاية كومة القش.. بتقول

إيه الحكاية ديه.. بتقول.. مفيش

كومة قش من غير إبرة.

تقول مريم بوجه سعيد ضاحك وهي تكسر بالشاكوش ذراع الكابوريا وكأنَّ تجاوبها مع حديث خالد يفك الغموض في مقصده أو مقصدها على حد سواء.

مريم: زي كده مفيش دخان من

غير نار.

خالد: تمام.. مفيش كومة قش من

غير إبرة.. وإللي هييجي بعد كده

كله واضح.. والواضح دايمًا يتفهم

من غير تفسير.. إزاي.. أقولّك..

في ناس.. زي العبد لله.. بيدوَّر على

الإبرة دايمًا في إللي بيلاقيه قدَّامه

وبالصدفة.. وإللي بالاقيه قدَّامي مش

دايمًا بالضرورة كومة قش.. بس من

ناحية تانية المبدأ على رقبتي زي

السيف.. مفيش كومة قش من غير

إبرة.. طيب نفرض إني ضيَّعت

المحفظة بتاعتي في حتة ضلمة..

وقعدت أدوَّر عليها ساعات طويلة..

لغاية ما شافني واحد عاقل وقال لي

t.me/qurssan

يا ابني إنتَ بتدوَّر ليه في حتة ضلمة

تعالَ ندوَّر على إللي وقع منَّك في

حتة نور.. قمت قايله.. مفيش

كومة قش من غير إبرة.. ومفيش

إبرة من غير كومة قش.

t.me/qurssan

١١

على ظهر بيت ريفي كومة قش، أو على ظهر كوخ ريفي كومة قش، في إصطبل خيل كومة قش، أو في شونة قمح كومة قش. تظهر قطعة كبيرة من السماء. على ظهر البيت الريفي كومة قش مزروع في وسطها الحقيبة، أو على ظهر الكوخ الريفي كومة قش مزروع في وسطها الحقيبة، في إصطبل الخيل كومة قش مزروع في وسطها الحقيبة، أو في شونة القمح كومة قش مزروع في وسطها الحقيبة. الضوء يعبر السماء. الضوء يعبر اليوم. الضوء يعبر السماء بطيئًا. الضوء يعبر اليوم بطيئًا. الحقيبة مائلة صامدة صامتة أمام الضوء. الحقيبة مائلة صامدة صامتة أمام الزمن. الحقيبة الصامدة الصامتة تنهار أمام الضوء. الحقيبة الصامدة الصامتة تنهار أمام الزمن. تصرخ شفرة الحقيبة أمام الوقت. ترتفع فوق البكرات الثلاث للحقيبة ثلاث أربعات ٤٤٤، شفرة جديدة ليوم جديد.

t.me/qurssan

١٢

ضوء فجر ناعم يتسلل من نافذة الغرفة، ودائرة ضوء واضحة من كشّاف، تنبعث من الثقب الأسود للباب الفرعي الفاصل بين غرفة سعد الدين عمران وغرفة خالد. دائرة الضوء تتسكع في صمت بوليسي على سقف الغرفة، وعلى الحوائط، وعلى الأثاث، وكأنها تبحث عن شيء ما، تعاين دائرة الضوء بدقة وانتقاء بعض التفاصيل، ساق ترابيزة، زاوية التقاء السقف مع حائط، حافة دولاب الملابس، الباب الرئيسي للغرفة. تزحف دائرة الضوء على السرير، تتفحص بأشعتها وجه خالد النائم، ينقلب خالد على جنبه الآخر، مُغرقًا وجهه تحت الوسادة، تُحاول دائرة الضوء نزع الوسادة عن وجه خالد، دون جدوى. تعود دائرة الضوء إلى السقف والحوائط، لكنْ هذه المرة بسرعة أكبر وارتعاشات عشوائية، فاقدة وقارها البوليسي.

t.me/qurssan

١٣

يفك فتحي فكّي المنجلة من ذراع أسفل الفكين. تتسع الشفتان الحديديتان. يهرش فتحي مؤخرة رأسه، وكأنه نسي ما كان يريده من فتح شفتي المنجلة. يرتدي فتحي عفريتة زرقاء جينز. يهرش في شعره الكثيف المنكوش. يجلس سعد الدين عمران على السرير، وفي حضنه صندوق خشبي ينزع منه بكمَّاشة المسامير التي تقيم أود الصندوق، وبجواره على السرير علبة كانت في الأصل علبة ورنيش، والآن بها مسامير جديدة لامعة، وطبق فنجان قهوة، يضع فيه المسامير الملتوية التي تخرج من الخشب بقوة الكمَّاشة وضغط الصندوق إلى صدره وعزم يديه. يأخذ فتحي الساق الصناعية من على أرض الغرفة، ويضع سمَّانة الساق بين شفتي المنجلة ثم يقرِّط ذراع الشفتين على سمَّانة الساق، ويزيد فتحي الضغط على السمَّانة زيادة أخيرة، فيقول سعد الدين عمران لنفسه استجابة للضغطة الأخيرة على سمَّانة ساقه الصناعية، دون النظر إلى فتحي، وهو يضغط على ملامحه.

سعد الدين عمران: آي.

يرفع فتحي رأسه بتثاؤب طويل خامل، وهو يتحرك قليلًا أمام مُقدمة الحذاء، ويبدأ في فك رباط الحذاء المُدبب بعد أن يتأكد من قوة إحكام شفتي المنجلة على سمَّانة الساق. يأخذ فتحي فردة الحذاء في حضنه مُركِّزًا سحبه لها من عند الكعب. تنخلع في يديه فردة الحذاء بصعوبة. يُحرِّك سعد الدين عمران على السرير أصابع قدمه اليسرى وذلك بأن يُكزمشها ويفردها وكأنه نزع عنها للتو واللحظة فردة حذاء ضيقة. يترك فتحي فردة الحذاء تسقط من يده على أرض الغرفة الخشبية بلامبالاة، وعلى الرغم من قصر المسافة بين الأرض وبين يده إلا أن سقطة الحذاء المدبب ثقيلة. يهرش فتحي في مؤخرة رأسه، وهو يمسك الأصابع الخشبية، ويفرك عنها شيئًا ما. بطن القدم الخشبية منحوتة قليلًا بحيث يبدو واضحًا انحناءة الفلات فوت وتقسيمة الأصابع. يمشي فتحي بجوار الساق، وهو يتحسس

t.me/qurssan

خشونة قصبة الساق المليئة بحفر مثلثات ومربعات رياضية. يقول فتحي لسعد الدين عمران.

فتحي: هاشيل النقش ده؟

سعد الدين عمران: أيوا.

يبحث فتحي في أرض الغرفة المنثورة بعِدة النجارة عن فارة، بينما تلتهم درفة باب جديدة والدرفة المثقوبة جزءًا من أرض غرفة سعد الدين عمران وغرفة خالد. يقول سعد الدين عمران عن الساق الخشبية بينما يجد فتحي الفارة بجوار قطعة من الصنفرة الخشابي التي يأخذها في جيب العفريتة.

سعد الدين عمران: هتخس؟

فتحي: لا.. مش هتلحق.. أنا

هاخدها من على الوش بالفارة.

يبدأ فتحي في كحت قصبة الساق الخشبية بالفارة، وهو يدور حولها حتى يتمكن منها، وفي نفس الوقت يدخل خالد من باب غرفته الرئيسي وعلى كتفيه فوطة يستخدم طرفها في تنشيف أذنه وجانب شعره. يتقدم خالد إلى الباب الفرعي لغرفته. هناك درفة ثابتة في حلق الباب، لكنها مفتوحة، ومكان الدرفة الأخرى فارغ. يتقدم خالد إلى الصندوق الخشبي المزخرف بجوار سرير سعد الدين عمران، وهو يعبر أرض الغرفة المزدحمة بعِدة النجارة. يقول خالد وهو يجلس على الصندوق الخشبي المزخرف.

خالد: أيوا يا عم سعد.

سعد الدين عمران: عاوزك في خدمة.

خالد: عيني.

يترك سعد الدين عمران الكمَّاشة والصندوق الخشبي الناقص ضلعين، ويأخذ من ورائه أجندة التلفونات التي في قلبها الصورة الفوتوغرافية القديمة الجامعة له ولمريم ولخالد على شاطئ

t.me/qurssan

البحر. يعطي سعد الدين عمران الصورة الفوتوغرافية لخالد، وهو يشير له من فوقها على ساقه الحقيقية الممدودة على رمل الشاطئ.

سعد الدين عمران: عاوزين ندفن المحروسة.

يقول خالد ونظرته بين الساق الممدودة والطفل الذي كانه غير منزعج وبلهجة باردة تشوبها سخرية تتجاوب مع لهجة سعد الدين عمران الباردة أيضًا.

خالد: هيه لسه عايشة؟!

سعد الدين عمران: مش بالظبط.

يميل فتحي تاركًا الفارة على الأرض الخشبية ثم يُخرج من جيبه قطعة الصنفرة الخشابي ويبدأ في صنفرة قصبة الساق الصناعية فتتطاير ذرات ناعمة، ثم يدور فتحي حول الساق كما دار حولها بالفارة إلا أنه يتوقف بشيء من الاختلاف عند بطن الأصابع الخشبية المُفصَّصَة قليلًا ويُدخل بينها جانب قطعة الصنفرة الخشابي، ثم يدعك بيده الأخرى باطن الأصابع ليختبر أثر الصنفرة.

خالد: مش فاهم.

يشير سعد الدين عمران بإصبعه ناحية الثلَّاجة الكبيرة في صدر الغرفة ويقول بينما يلتفت خالد نصف التفاتة ناحية الإشارة.

سعد الدين عمران: المحروسة في التلَّاجة

من تلات سنين.. وخلاص ما عنديش أمل..

وإوعى تسألني أمل في إيه.

يصمت خالد لحظات ويقول كلمة «الأمل» بالإيقاع الموسيقي لأغنية أم كلثوم الشهيرة، ثم يُكمل كلمة «الأمل» بدندنة اللحن، بينما يعود سعد الدين عمران إلى انتزاع المسمار الأخير من الصندوق الخشبي بالكمَّاشة.

t.me/qurssan

خالد: الأمل.. أموو.

t.me/qurssan

١٤

تجلس مريم في شرفة الغرفة وأمامها بحر واسع عريض، تجلس على كرسي خشبي مريح رافعة ساقيها على ترابيزة قصيرة أمامها، وفي يدها كتاب تقليدي عن الأبراج، وفي داخل الغرفة جمالات تتحرك بين الدولاب والسرير. ملابس مريم المغسولة في كومة كبيرة على السرير. تُطبق جمالات بانتظام واختيار أنواع الملابس ثم تذهب بها إلى الدولاب المفتوح لتضع فيه مُربَّع الملابس المُهندَم المُطبَّق بعناية وهي تضغط عليه في رف الدولاب لتهبط تنشيته. تنظر جمالات بين الحين والآخر ناحية مريم وكأنها تريد أن تحدثها في شيء والتردد يقف حائلًا بينها وبين هذا الحديث، لكنه لا يمنعها أيضًا من أداء عملها بإتقان. تتجه جمالات بابتسامة ناحية مريم التي تلحظ أن جمالات ستقول شيئًا.

مريم: إيه يا جمالات؟

ترتبك جمالات وهي تُطبق قطعة الملابس في يدها وتبتسم بخجل، فتقول لها مريم وهي تضع الكتاب على الترابيزة المنخفضة أمامها.

مريم: عاوزة فلوس؟

جمالات: لا يا ست مريم خيرك

سابق.. أنا كنت...

تصمت جمالات مرة ثانية وتجد صعوبة في الدخول فيما تريده، فتقول مريم وهي تعتدل على الكرسي المريح بشيء من حزم السادة.

مريم: كنتِ إيه.. اتكلمي يا بنتي.

تجلس جمالات بحياء على طرطوفة الترابيزة وتضع على ساقها قطعة الملابس المُطبَّقة وتقول خافضة عينيها على قطعة

t.me/qurssan

الملابس.

جمالات: كنت عاوزة أعرف حضرتك

بتشتغلي إيه؟

تبتسم مريم وهي تشعل سيجارة وتأخذ رشفة من مَج النسكافيه وتقول لجمالات بسخرية خفيفة لا تصل لصد جمالات عن الحديث.

مريم: ليه سيادتك؟

جمالات: أصل فتحي...

مريم: هيًا فيها توحة.

جمالات: يظهر إن فتحي دِزسه

بيوجعه.

مريم: وأنا إللي هاخلعه؟

جمالات: ينفع؟ ده أنا كنت فاكرة

إنه يتعالج بس.

مريم: لأ.. لو واجعه قوي يتخلع.

جمالات: هوه ما بيقولش إنه

واجعه قوي.

مريم: هوه فتحي بيقول حاجة أصلًا.

جمالات: ما هوه ده إللي مِخَوفني..

توحة كل حاجة واخدها على جوه.

مريم: إنتِ متأكدة إنه دِزس

مش مِنة؟

t.me/qurssan

جمالات: ما اعرفش يا دكتورة.

مريم: دكتورة مين يا غبية..

مين قالّك إني دكتورة؟

جمالات: فتحي كان فاكرك دكتورة.

مريم: ليه؟

جمالات: ما اعرفش هوه كان فاكر كده.

مريم: أنا باحب عيادة دكتور السِّنان آه..

بس أنا مش دكتورة.

جمالات: بتحبيها عشان نضيفة وواسعة؟

ترجع مريم بظهرها إلى مسند الكرسي المريح وتقول بابتسامة حالمة وكأنها تتخيل نظافة عيادة طبيب أسنان كما تخيل فتحي وِسع عيادة طبيب أسنان.

مريم: يمكن عشان نضيفة.

تقول جمالات بدورها ويبدو على وجهها علامات خيبة الأمل وهي تلتفت بجلستها على طرطوفة الترابيزة لتواجه أكثر وجه مريم.

جمالات: يعني مش عشان واسعة؟

مريم: لأ.. عشان نضيفة.

جمالات: فتحي بيحبها عشان واسعة..

وحضرتك بتحبيها عشان نضيفة..

حاجة تحير.. دلوقتي لو توحة عاوز

يخلع دِزسه ولّا سِنته.. يروح فين؟

t.me/qurssan

مريم: مفيش عيادة سِنان قُريِّبة هِنا؟

تصمت مريم لحظات وكأنها تفكر في تلك المِحنة ثم تقول وهي تبتعد بظهرها مرة ثانية عن المسند المريح وتضع يدها على ساق جمالات بفرحة مَنْ وجد الحل وتقول وعيناها تتسع.

مريم: الورشة بتاعة فتحي.

جمالات: ما ده إللي فتحي كان

خايف منُّه.. إن ورشته تبقى

عيادة سِنان.

مريم: هنعمل إيه يا جمالات

مفيش عيادة قُريِّبة.. وبعدين

خلع سِنَّة ولَّا دِرْس ما تستاهلش

قوي دكتور سِنان.

جمالات: تفتكري حضرتك؟

مريم: طبعًا حضرتك.

جمالات: طب والحاجات إللي بيخلع

بيها الدكتور السِّنان والدروس؟

مريم: بسيطة.. مش فتحي عنده عِدة

نجارة؟

جمالات: هوه عنده غيرها؟

مريم: خلاص.

جمالات: خلاص إيه؟

مريم: خلاص يعني عِدة

t.me/qurssan

الدكتور شبه عِدة النجارة.

تقول جمالات بابتسامة وكأنها وصلت أخيرًا إلى غايتها التي لم تكن تحسب أن تلك الغاية تقع بين يديها فقط من حديث بسيط مع سيدتها.

جمالات: يعني ينفع...

مريم: ينفع يا جمالات.. قومي بقى

خلصي الشغل إللي وراكِ.

t.me/qurssan

١٥

ساق سعد الدين عمران الصناعية ما زالت محبوسة بين فكَّي المنجلة، لكنَّ لمعة الجمالكة تُكسبها بريقًا. ينشغل فتحي على أرض الغرفة في تركيب مفصلات نحاسية لباب الغرفة الجديد بينما ينشغل سعد الدين عمران بدق مسمار طويل عشرة سم في حوائط الصندوق الخشبي الأربعة دون سطح الصندوق وقعره. أمام سعد الدين عمران على السرير أربعة قوالب من الطوب الحراري بحيث يكون القالبان في جانب والآخران في جانب وبينهما فراغ، وفي الأعلى يضم حوائط الصندوق المتساوية لينزل في منتصفها بالمسمار العشرة سم. يُحكم سعد الدين عمران قوالب الطوب، ويُحكم أيضًا انتظام الحوائط فوقها ليعوض ليونة مرتبة السرير التي هي من القطن، وينجح تعويض الصلابة لكون مرتبة القطن من سنين الاستعمال انضغطت وتصلَّبت. بيد مُدرَّبة على الأعمال اليدوية ينزل سعد الدين عمران برأس الشاكوش على رأس المسمار. يقول سعد الدين عمران مُكملًا حديثه لخالد بعد اللحظات الحرجة لإحكام الضربات الأولى.

سعد الدين عمران: لأ.. عايدة الضمراني

في مشكلة.

خالد: ليه؟

سعد الدين عمران: مش سهل تتكلم معاها..

عاوزة فيلم تقريبًا عشان تعرف تِدخُلَّها.

خالد: مش كفاية موضوع الكتاب؟

يبتسم سعد الدين عمران لخالد وهو يستعدل ساقه المبتورة لتتناغم مع الضرب المُحكم على رأس المسمار الساري باستقامة في الخشب ويقول.

سعد الدين عمران: لأ مش كفاية.. عايدة أنا

t.me/qurssan

عرفتها لمَّا كنت باروح المكتبة بانتظام..

إنسانة هادية جدًّا وجميلة جدًّا.. بس في

حاجة.. عايدة يلزملها حكاية.. يعني إللي إنت

عاوزه من ورا الكتاب هيًّا عاوزاه قبل الكتاب..

وخد بالك عايدة الضمراني مش سهلة زيِّي.

خالد: يعني التسجيدة لازم تبقى جامدة.

سعد الدين عمران: الحقيقة لازم التسجيدة

تبقى مستحيلة.. عايدة مش هتبص إنك بتكدب

عليها ولَّا لأ.. هتبص على الكدبة نفسها

عجبتها ولَّا لأ.. ونصيحة من أخوك العجوز..

اقفل باب النحنحة كله معاها.

يصل المسمار العشرة سم إلى نهايته من أسفل، فيأخذ سعد الدين عمران الحوائط الخشبية ويُصالب على صدره بصعوبة الحائطين الأول والثالث على الحائطين الثاني والرابع ثم يعطي الكتلة إلى خالد، فيمسكها خالد من أسفل المسمار ويبرمها قليلًا بين أصابعه فتدور رِيَشها كالمروحة. يقول خالد بابتسامة ساخرة، ونظرة أكثر سخرية إلى سعد الدين عمران.

خالد: تحفة!

يبتسم سعد الدين عمران وكأنه يقبل السخرية، ثم تهبط لحظات صمت ثقيلة تقع فيها نظرة خالد صدفة دون تعمد وبفعل الصمت على الساق الصناعية المحبوسة بين فكَّي المنجلة، فتتجه بالقصور الذاتي نظرة سعد الدين عمران إلى الساق الصناعية المحبوسة بين فكَّي المنجلة، فيقول خالد فجأةً ويتجاوب معه سعد الدين عمران وكأن هذا القول نجدة من ورطة وقع فيها الاثنان:

t.me/qurssan

خالد: الأمل.

سعد الدين عمران: أموو.

t.me/qurssan

١٦

خالد طفل صغير كما كان بهيئته في الصورة الفوتوغرافية التي يملكها سعد الدين عمران، عاريًا إلا من المايوه وعلى ساقيه حبيبات الرمل. الغرفة عارية إلا من السرير المُرتب الذي ينطلق من عنده خالد الطفل بكرة سلة يخبطها في الأرض الخشبية، فترتد إلى يده، ويجري معها كلاعب سلة. يتجه خالد الطفل إلى غرفة سعد الدين عمران الخالية من درفتي الباب، فتعطي إحساسًا بالمساحة الرحبة. أرض غرفة خالد وغرفة سعد الدين عمران خالية من كل شيء، وكأنها مسرح مُعد لجري خالد الطفل الذي يقتحم غرفة سعد الدين عمران ليصل إلى الثلَّاجة الكبيرة في صدر الغرفة، وهناك أيضًا في غرفة سعد الدين عمران السرير العريض المُرتب كأنه لم يُمس. يجري خالد الطفل بانحناءة لاعب كرة سلة في اتجاه الثلَّاجة الكبيرة المرفوعة على برت كابل، ومع قفزته العالية بكرة السلة استعدادًا لضربة دانك ساحقة، ينفتح باب الثلَّاجة لأعلى بتناغم مع طيران خالد الطفل عن الأرض. تتسع عينا خالد الطفل بدهشة وفرحة وابتسامة، وهو يرى في الهواء الساق الحقيقية المبتورة في الثلاجة. يقذف خالد الطفل كرة السلة في جانب الثلَّاجة العميق فتنحشر بقوة الضربة.

t.me/qurssan

١٧

الورشة عبارة عن هول كبير واسع يغلب عليه تكوين المستطيل. أرض الورشة من البلاط العادي المبدور بشكل غير منتظم بنشارة خشب نظيفة ناعمة. الورشة خالية إلا من بعض المراين والعروق الخشبية بجوار الحوائط، وهي لا تأخذ حيزًا من اتساع الورشة. على ما يُشبه محفة المدفع الحربي مُثبت الباب الفرعي التالف الذي ثقبه سعد الدين عمران بساقه الخشبية. الباب مُثبت بشكل مائل أو بزاوية حادة أي أعلى قليلًا من المستوى الأفقي. محفة الباب من عروق خشب سميكة قوية غليظة مُثبتة بمسامير قلاووظ غليظة ومحبوسة بصواميل غليظة. ترتكز المحفة على عرقين خشب سميكين يعملان كزحافتين على البلاط مُباشرة. عُقب الباب المُثبت على الزحافتين بشكل مائل لا يحتك بأرض الورشة بل تحميه عن الأرض لقمتان غليظتان تصنعان مع الزحافتين زاوية قائمة، وعُقب الباب يبيت في سوكة الزاوية القائمة. ومُثبت على الباب فتحي بيديه المنفرجتين وساقيه أيضًا بحيث يظهر بين ساقيه الثقب الشائه للباب. فتحي مُثبت بسيور من الجلد السميك، تعمل كأساور شديدة الضغط على معصميه وأنكل قدميه الحافيتين وعلى منتصف بطنه. تثبيت فتحي على الباب يبدو مريحًا آمنًا، لا سيما أن قدميه تبعدان عن احتمال احتكاك مع الأرض، بل يجد كعبا قدميه مُرتكزًا على اللقمتين الغليظتين للزحافتين. ورغم أمان التثبيت وراحته تنحبس الدماء قليلًا في كفَّي فتحي وقدميه من أثر إحكام سيور الجلد السميكة. تدفع مريم وجمالات محفة فتحي من الخلف وتعمل الزحافتان بشكل ممتاز على البلاط، وبمساعدة نشارة الخشب الناعمة تنزلق المحفة بسهولة ويسر. تدفع مريم وجمالات محفة فتحي كما يفعل الأطفال عندما يجدون شيئًا ينزلق على الأرض بسهولة ويُسر. تقول مريم وجمالات في أثناء دفع المحفة.

مريم: ووووو.

جمالات: ووووو.

t.me/qurssan

تضحك مريم وجمالات وتفلت من قدم جمالات كعادتها فردة الشبشب اليسرى أبو صباع. يتابع سعد الدين عمران وخالد انزلاق محفة فتحي بابتسامة. تصل مريم وجمالات بالمحفة إلى نهاية الحائط، فتصنعان ملفًّا ضيقًا لتدور المحفة. تستجيب المحفة لقيادة مريم وجمالات البارعة. تقول مريم وجمالات عندما يستلمان هاي واي الورشة.

مريم: ووو.

جمالات: ووووو.

يبتسم فتحي ابتسامة خوف من انزلاق محفته على هاي واي الورشة، ابتسامة يُخالطها شيء من الرعب، لكنَّ ثبات المحفة وانزلاقها الراسخ الآمن على الأرض كسيارة ألماني لا تصل بفتحي إلى حد الهلع. يفتح سعد الدين عمران بين يديه برجل البِنْسة الحديدية المسحوبة الطرفين، بِنْسة حديدية جديدة لامعة بطرفين شريرين نازيين، وكأنه يستعد لعمل ما، وما زالت الابتسامة الراضية عن انزلاق المحفة على وجهه. يقول وهو يتحرك ببطء إلى مكان في الورشة بعيدًا عن الهاي واي، وفي قدمه السليمة فردة حذاء خفيف رياضي، وفي الأخرى الصناعية فردة حذاء مُدبب مُلمَّع حديثًا.

سعد الدين عمران: يلَّا كفاية كده.

مريم: لفة كمان.

تنطلق مريم وجمالات بمحفة فتحي على هاي واي الورشة بأقصى سرعة، ثم عند المكان الذي ينفرد فيه سعد الدين عمران وخالد تصنعان بالمحفة تخميسة أمريكاني تتسع لها عينا فتحي. يقترب سعد الدين عمران من فتحي ثم يلتفت إلى جمالات ويشير إلى حوائط الورشة من أسفل.

سعد الدين عمران: خشبتين صُغيرين يا جمالات.

تذهب جمالات إلى الحائط وتنكش بقدمها اليسرى الحافية في

t.me/qurssan

بواقي الأخشاب والنشارة الممدودة على طول الحائط من أسفل، ثم تأتي بخشبتين واحدة تقارب في طولها عشرة سم والثانية تقارب في طولها خمسة عشر سم. تعرض جمالات ببراءة وحماسة طفولية الخشبتين على سعد الدين عمران الذي ينظر إليها بخيبة أمل وابتسامة ساخرة ويقول بينما ما زالث جمالات لا تفهم.

سعد الدين عمران: إيه ده؟

جمالات: إيه؟

مريم: أصغر من كده يا هبلة.. تعالي.

تذهب جمالات بالخشبتين الكبيرتين وراء مريم التي تشير لوالدها بارتفاع محدود بين سبابتها وإبهامها وتفتح فمها قليلًا ثم تضع ارتفاع السبَّابة والإبهام على جانب فمها المفتوح، فيرفع لها والدها إبهامه في الهواء وهو يغمض عينيه دليلًا على أن مريم فهمث قصده بالخشبتين الصغيرتين. تميل مريم بطول الحائط وتنكش بيدها بين مراين الخشب والنشارة وتنتقي خشبتين مناسبتين ثم تذهب بهما إلى سعد الدين عمران الذي يأخذ الخشبتين بين يديه ويدعكهما وكأنه يختبر صلابتهما ثم ينظر إلى خالد ويقول على الخشبتين.

سعد الدين عمران: مش بطَّال.

يهز خالد رأسه بأن نعم، ويمط شفتيه بجدية خفيفة للتأكيد على إشارة سعد الدين عمران الذي يقص بطرف البِنسة فتفوتة من إحدى الخشبتين، فينظر فتحي المشبوح والمثبت بإحكام على الباب إلى طرفي البِنسة الحديدية. يقترب سعد الدين عمران من وجه فتحي ويقول بينما تقترب أيضًا جمالات ومريم وخالد.

سعد الدين عمران: افتح بقك يا فتحي.

تمد جمالات يدها على وجه فتحي وتؤكد على كلمات سعد الدين عمران وهي تساعده في فتح فمه بينما فتحي يتردد خائفًا من

t.me/qurssan

البِنْسة الحديدية.

جمالات: افتح يا توحة.

يستجيب فتحي ويفتح فمه، ويقترب سعد الدين عمران بالخشبة الصغيرة، وتقترب أيضًا مريم للنظر من موقع أفضل، بينما يراقب خالد بشيء من البرود. يقول سعد الدين عمران لفتحي.

سعد الدين عمران: شوية كمان.

تكاد جمالات تُدخل أصابعها في فم زوجها فتحي حتى تساعده على أقصى اتساع يستطيعه، فتخرج من فتحي زومة واهنة. يحشر سعد الدين عمران الخشبة عموديًّا في زاوية الفم، ثم يتبع الخشبة الأخرى سريعًا في الزاوية الأخرى للفم. يتأكد سعد الدين عمران من ثبات الخشبتين. يبدو اتساع فم فتحي بحاجز الخشبتين وكأنها صرخة مُتحجِّرة مُحنَّطة. تتسع عينا فتحي بالرعب وسعد الدين عمران يقترب بطرفي البِنْسة الحديدية من جانب الفم. تلمس مادة الحديد مادة الأسنان وتتسع عينا فتحي بتشوه شديد.

t.me/qurssan

إحدى غرف الاجتماعات كثيرة العدد للهيئة أو المؤسسة أو التنظيم المسؤولة عن المهمات الغامضة التي يُكلَّف بموجبها أفراد لا يحيدون عن تعليمات المُهمة مثل مُهمة الحقيبة ذات الشفرة الثلاثية. الغرفة يغلب عليها بقوة شكل المستطيل، وفي الضلعين القصيرين المتقابلين للغرفة هناك أيضًا بابان مُتقابلان، عرض الباب منهما يقل عن المقياس المعتاد للأبواب بعشرين سم، وطول الباب منهما يزيد عن مقياس الارتفاع المعتاد للأبواب بعشرين سم.

في الغرفة فقط ترابيزة اجتماعات مستطيلة بحجم الغرفة تقريبًا إلا من مستطيل الفراغ الضيق بين حوائط الغرفة وبين حدود مستطيل الترابيزة. مستطيل الفراغ يسمح فقط لشخص متوسط البدانة بأن يلف الغرفة كلها وظهره ملصق إلى الحوائط بينما تحتك ساقاه بالأضلاع الأربعة للترابيزة، أو أن يجعل هذا الشخص وجهه إلى الحوائط وأعلى ساقيه من الخلف يحتك بحواف الترابيزة، هذا إذا سمح له الفراغ المستطيل باللف حول جسده في أي مكان داخل الغرفة، وعلى هذا يقرر الشخص قبل دخوله الغرفة إذا كان يريد أن يكون وجهه إلى فضاء الغرفة أو إلى حوائط الغرفة. ترابيزة الاجتماعات لها سمك من الخشب الفخم ذي اللمعة المنطفئة قليلًا. لا نوافذ في الغرفة. براويز البابين سميكة وعريضة وبارزة وبلون مختلف عن لون الحوائط، وهذا يوحي أكثر فأكثر بضيق عرض البابين. الضوء يأتي من أعلى الغرفة ولا يسمح بالظلال. عجوزان، رجل وامرأة، يجلسان إلى الضلع القصير وراءهما، ولأن سطح الترابيزة يرتكز على أربع سيقان قوية لا واصل بينها من أسفل فإن الكرسيين يسمحان للعجوزين بأقصى اقتراب من سطح الترابيزة. العجوزان فوق السبعين، ضامران، مُنكمشان بحكم نوع من العَجَز يقل فيه الحجم بشكل ما. يضرب الروماتويد والتعويج والتعقيل أصابع العجوزين. في أظافر المرأة العجوز مانيكير أحمر فاقع يصرخ بالقبح مع عُقَل الأصابع المعوَّجة. وفى أطراف أصابع العجوز حِنَّة

t.me/qurssan

بلدي ضاع قليلًا لونها وبقيت بصورة أوضح في الأظافر. على سطح الترابيزة أمام العجوزين بلوك نوت صغير وقلم. يرتفع صوت طرق هادئ على الباب المُقابل للعجوزين ثم بعد لحظات يفتح مجدي الدمنهوري الباب بحرص لأن بَزجل الباب لا ينفتح إلا لأقل من نصفه، إذ يعوقه طرف ترابيزة الاجتماعات. تتعلق نظرة العجوزين بالباب المُقابل. يدخل مجدي الدمنهوري الغرفة بجانب جسمه ثم يغلق الباب. يسحب الكرسي الوحيد قليلًا إلى الوراء ويكاد ظهر الكرسي أن يلامس باب الغرفة. يُدخل مجدي جسمه بجنب أيضًا ويجلس على الكرسي. يقول مجدي الدمنهوري بصوت معتدل جاد وهادئ.

مجدي: في مشكلة يا ريس.

تندفع العجوز بسخافة طفل صغير ودلع لا يتناسب مع عمرها ولا مع شعرها الأبيض وتقول بصوت مسرسع قياسًا لسنها الكبيرة.

المرأة العجوز: كبيرة ولَّا صُغيَّرة؟

ينظر الرجل العجوز إلى المرأة العجوز نظرة استنكار هادئة، بينما يبتسم مجدي ابتسامة هادئة، ويتنحنح نحنحة خجل. يفتح الرجل العجوز يده في الهواء لمجدي كي يُكمل كلماته، وكأنه يعتذر عن المُقاطعة الطفولية للمرأة العجوز التي تستغل فرصة نظر الرجل العجوز إلى مجدي، وتُخرج لسانها سريعًا وتدخله في فمها، وتلك الحركة الطفولية تصنعها المرأة العجوز في جانب وجه الرجل العجوز.

مجدي: واحدة اسمها كريمة الشوربجي

سألت عن طبيعة التنظيم.

الرجل العجوز: وهوه تنظيم؟

مجدي: ما أنا يا ريس قلت إنه

تنظيم أو هيئة أو مؤسسة.. قلت

t.me/qurssan

إللي مسموح بيه.. وإللي أي حد

بيشتغل معانا ممكن إنه يعرفه.

الرجل العجوز: وإيه إللي قلقك منها؟

مجدي: طريقة السؤال.

الرجل العجوز: فضول؟

مجدي: مش بالظبط فضول..

استهتار أدق.

الرجل العجوز: وإيه المشكلة؟

مجدي: الاستهانة بأي مهمة في

المستقبل.

الرجل العجوز: هيًا مش جابتلَك

الشنطة؟

مجدي: أيوا.

الرجل العجوز: حسيت إنها ممكن تتكلم

مع حد عن الموضوع؟

مجدي: ممكن.

الرجل العجوز: بس إنت اتكلمت معاها

عن التنظيم بشكل عام؟

مجدي: أنا قُلتلك يا ريس.. قلت

المسموح بيه.

الرجل العجوز: وإيه المشكلة إنها تقول

t.me/qurssan

إللي إنت قُلته لها.. إللي هوه

مسموح بيه.. إلا إذا كنت شاكك إنها

تعرف حاجة تانية أو مثلًا إنها بتراقبك..

أنا شخصيًا مش خايف من الحالة الأولى..

عشان إنت نفسك ما تعرفش حاجة تانية..

أمَّا الحالة التانية إنها فعلًا تكون بتراقبك

وده حتى ما يمثلش خطر كبير.. إنت

عارف إن من حقها أدام قامث بمهمتها

من غير مُخالفة للتعليمات.. إنها تشك

زيك تمام.. طبعًا إنت اشتغلت معانا

أكتر.. بس إللي ما تعرفوش.. وبرضه

في حاجات كتيرة ما تعرفهاش عن

التنظيم.. مش تقصير منَّك.. بس عشان

الحاجات ديه بتيجي من الصدفة والتعامل..

إللي ما تعرفوش يا أستاذ مجدي إن أي

حد بيشتغل معانا ومن المرة الأولى

يقدر يشك ويراقب ويفرض وصايته

كإنه مَلَكي أكتر من الملك.. يعني

كريمة الشوربجي بعملها في التنظيم

مرة واحدة.. وممكن تكون الأخيرة.. ليها

الحق إنها تنقل كلامك باستهتار طالما

t.me/qurssan

إنت أكدتلي إنك ما قُلتلهاش إلا

المسموح بيه.

تندفع المرأة العجوز بطفولية، وتقول لمجدي في صيغة سؤال أحمق وهي تفرد أمام وجهه عبر قرص الترابيزة الطويل إصبع سبابتها المِعوَّجة.

المرأة العجوز: مديحة الشوربجي؟

ينظر الرجل العجوز إلى المرأة العجوز بشيء من اليأس ويصحح لها الاسم بصوت منخفض وهو يميل عليها.

الرجل العجوز: كريمة الشوربجي.

لا تعبأ المرأة العجوز بيأس الرجل العجوز وتُكمل كلماتها بنفس اللهفة الفارغة العبثية، وتقول لمجدي وهي تفتح يدها له، دلالة على شغف الطلب وكأن هذا الطلب سيعبر فوريًّا سطح الترابيزة ليسقط في يدها.

المرأة العجوز: معاك صورة ليها؟

يبتسم مجدي ويضع يديه على صدره، ثم يُدخل يده في جيب الجاكيت الداخلي ويُخرج منه صورة فوتوغرافية ويضعها أمامه على سطح الترابيزة ويقول.

مجدي: أيوا.

للحظات لا يعرف مجدي كيف يبعث الصورة الفوتوغرافية لكريمة الشوربجي إلى أصابع المرأة العجوز، فينظر إلى سطح ترابيزة الاجتماعات المستطيل اللانهائي في طوله ثم ينظر إلى صورة كريمة الشوربجي التي تبدو أن اللقطة أُخذت لها في مكان عام دون علمها، وهي في اللقطة تضحك وترجع بظهرها إلى الوراء، وعلى رقبتها باشمينا مفكوكة الطرفين. تشير المرأة العجوز بابتسامة تشجيع إلى الفراغ الضيق بجوار الحائط حتى يصل إليها. يقوم مجدي من على الكرسي بصعوبة وفي يده الصورة

t.me/qurssan

الفوتوغرافية، إذ لا يسمح الحائط والباب خلفه بإفساح مكان لقيامه. بجانب جسمه يخرج مجدي من زنقة الجلوس، وهو يسند يده على سطح الترابيزة. وجه مجدي إلى العجوزين وظهره يمسح الحائط بحركة بعد أن تجاوز بصعوبة بالغة الزاوية القائمة لطرف الترابيزة، ثم ها هو الآن على استقامة الفراغ الضيق بين الحائط والترابيزة، وابتسامة المرأة العجوز هي ابتسامة تشجيع الوصول. ببطء ونضال يصل مجدي إلى قرب الزاوية القائمة لترابيزة الاجتماعات ثم يميل على سطح الترابيزة بنصفه الأعلى وهو يمد الصورة الفوتوغرافية بطول ذراعه، فيفرد الرجل العجوز الأقرب إلى مجدي ذراعه أيضًا على سطح الترابيزة، ليسحب بالكاد طرف الصورة الفوتوغرافية. يمرر الرجل العجوز إلى المرأة العجوز بجواره صورة كريمة الشوربجي بعد أن يلقي عليها نظرة عابرة لا تستغرق سوى زمن المرور، بينما يقطع مجدي رحلة عودته عكس الاتجاه في الفراغ الضيق بين الحائط وبين ترابيزة الاجتماعات. تمسك المرأة العجوز الصورة بين أصابع أنهكها الروماتويد والتغوِيج والتعْقيل. تقول المرأة العجوز دون أن يعنيها إن كان القول لنفسها أو يقع في منتصف المسافة بين الرجل العجوز ومجدي الدمنهوري.

المرأة العجوز: اللّه.. أمورة قوي.

تقول المرأة العجوز لمجدي وهو في منتصف رحلته المضنية بروح اللامبالاة والخرف والعبثية بينما يحاول الرجل العجوز النظر إلى الصورة من وراء كتف المرأة العجوز.

المرأة العجوز: ما جبتهاش معاك ليه؟

يبتسم مجدي الدمنهوري بارتباك ولا يعرف كيف يجيب عن السؤال العبثي من المرأة العجوز التي يبدو أنها لا تهتم حتى بسماع الإجابة وها هي تعود إلى النظر في الصورة الفوتوغرافية وتقول للرجل العجوز.

المرأة العجوز: الباشمينا إللي عندي

t.me/qurssan

مش زي ديه؟

الرجل العجوز: لأ.

المرأة العجوز: إزاي؟

الرجل العجوز: إللي عندك شال.

المرأة العجوز: ما هو زيها.

الرجل العجوز: لأ.

المرأة العجوز: لأة تلؤك.

ينتش الرجل العجوز بنفاد صبر الصورة الفوتوغرافية من بين أصابع المرأة العجوز ويقول دون النظر إليها ثم يشير بالصورة إلى مجدي الدمنهوري وهو في منتصف الطريق إلى الكرسي الذي كان يجلس عليه.

الرجل العجوز: خلاص.. ممكن يبقى

عاوز الصورة عشان المراقبة.

تتطلع عينا الرجل العجوز بابتسامة اعتذار لمجدي، والابتسامة قد تعني أن يعود مجدي إليه مرة ثانية كي يأخذ الصورة الفوتوغرافية. يرد مجدي على ابتسامة الرجل العجوز السادية بنصف ابتسامة مازوخية، وللحظات يتوقف في الطريق الضيق بين الحائط وترابيزة الاجتماعات، وكأنه على وشك الانفجار، فتتعلق نظرة العجوزين بترقب وانتظار القرار اللحظي المستقبلي، وما إن يتحرك مجدي عائدًا إلى العجوزين، إلا والسعادة ترتسم على وجهيهما، وتصفق المرأة العجوز صفقتين لمجدي وتقول.

المرأة العجوز: برافو مجدي.

t.me/qurssan

شقة شديدة الضيق، بغرفة واحدة صغيرة، وممر بائس مُنكمش به ثلاجة بيضاء إيديال، وحمام ومطبخ. من غرفة نوم قطة العدوي، وهي الغرفة الوحيدة، يسمع الطرق العنيف على باب الشقة الخارجي، الطرق على الباب يعصف بخشبه الهزيل، الطرق به شبهة بوليسية، إلا أن صوت الذي يطرق الباب لا يترك مجالًا للشكوك البوليسية، وكأنه يؤكد أن له الحق في الطَّرق بتلك الطريقة العدوانية على ابن أخته قطة العدوي الذي لا يبعد كثيرًا عن باب الشقة الخارجي رغم وجوده في غرفة النوم، وفي سريره المتواضع. يرفع خال قطة العدوي صوته قائلًا، وكأن أحدًا يطارده، ولم يبقَ له أمل في النجاة سوى استجابة من ابن أخته قطة العدوي.

حفظي: افتح الباب يا قطة.. أنا

خالك حفظي.. افتح يا قطة..

خالك حفظي.

يرتعش الباب الخارجي من قصف خال قطة العدوي الأستاذ حفظي. يقوم قطة العدوي من فراشه ببيجامة النوم. قطة نحيل الجسم، شاحب الوجه، في الثلاثينيات، بعينين هادئتين، وشعر كاسٍ على جبهته. هيئة قطة العدوي هيئة موظف تقليدي بامتياز. يلتمس قطة طريقه على ضوء لمبة الحمَّام. خطوات قليلة ويجد قطة نفسه أمام الباب الخارجي. يفتح قطة الباب، فيندفع خاله حفظي إلى داخل الشقة. رجل بدين، بكرش رجراجة مثل الجيلي، على عينيه نظَّارة طبية، يبدو في منتصف الخمسينيات. يتجه الأستاذ حفظي إلى الحمَّام المفتوح، ودون أن يغلق عليه باب الحمَّام، يقول الأستاذ حفظي وسط صوت إفراغ مثانته الممتلئة، بصوت عالٍ، وأيضًا صوت مثانته عالٍ.

حفظي: إيه إللي أنا سمعته

t.me/qurssan

ده يا قطة.. قطة العدوي

ابن أخت الأستاذ حفظي عبد الدايم..

متحوِّل للتحقيق؟!

يعـود الأسـتاذ حفظـي مـن الحـمَّام وهـو يزرر بنطلونـه واللهفة الهسـتيرية علـى وجـهه. ينظـر قطـة العـدوي إلـى خالـه بعـينين ناعستين، ويتثاءب بلامبالاة، فيقول خاله بنفاد صبر وقبل أن تخرج كلمة من فم قطة العدوي.

حفظي: بتتاوب؟! إزاي جايلك نوم

وإنت متحول للتحقيق؟! أكيد ده مش

مجرد تحقيق.. ديه قضية.. وقضية

كبيرة كمان.. يادي العار!

يـرفع الأسـتاذ حفظـي يـديه بحركة مسـرحية ويتركهما تسـقطان على أعلى ساقيه وهو يلتفت إلى الثلَّاجة الإيديال. يفتح الأستاذ حفظي الثلاجة، ويفتش فيها، ويقول بينما يجلس قطة العدوي على الكنبة يائسًا.

حفظي: شكلها قضية طبعًا.. إيه

ده.. التلَّاجة فاضية! طبعًا واحد

متحول للتحقيق هياخد باله إزاي

من نفسه! الجبنة ديه نشفت..

مفيش حاجة تتاكل.. قطة.. علبة

العصير ديه بقالها كتير؟

قطة: لأه.

يأخذ الأستاذ حفظي علبة كبيرة من عصير التفاح، ويذهب إلى

t.me/qurssan

ركن صغير هو المطبخ، ثم يأخذ كوبًا زجاجيًا فارغًا، يتأفف ويتشكك في نظافته بتعبير من وجهه ثم يتشمم الكوب بأنفه. والغريب أن ضيق الشقة وفقرها وبؤسها لا يوحي بقذارتها، وعلى هذا يبدو الخال وكأنه يداري نهمه بالتأفف من عدم النظافة. يذهب الأستاذ حفظي إلى الكنبة، ويقرب منه ترابيزة عالية تُستخدم للطعام. يصب الأستاذ حفظي عصير التفاح في الكوب ثم يضع علبة العصير على الترابيزة ثم يأخذ المخدتين الموضوعتين في منتصف الكنبة بينه وبين ابن شقيقته قطة العدوي ويضعهما وراء ظهره وكأنهما تمثلان عائقًا في استجواب ابن شقيقته. يرتشف الأستاذ حفظي رشفة عميقة من العصير ويقول، وهو يقترب على الكنبة من قطة العدوي.

حفظي: احكيلي يا ابني طمِّني.

قبل أن ينطق قطة العدوي بكلمة ينتفض الأستاذ حفظي من على الكنبة ويقول بحماس وغضب وهو يتجه إلى مفتاح نور الصالة بجوار الباب الخارجي، وهذا يعني أنه منذ عاصفة دخوله الشقة لم يكن هناك سوى ضوء لمبة الحمَّام الضعيف، وهذا يعني أيضًا معاناة كانت مزدوجة لقطة العدوي، صخب خاله، والظلال الكثيفة حول جسمه البدين لا سيما وهو يفرغ مثانته والباب مفتوح.

حفظي: ثانية واحدة.. النور.

قطة: اطَّمن يا خالي مفيش

حاجة.. الحكاية إني خالفت

القواعد في مهمة.. والمخالفة

كانت بسيطة.. وعدِّت على كده.

حفظي: ده إللي أنا كنت عامل

حسابه.. يعني في مخالفة.. وكان في

t.me/qurssan

قواعد.. ومهمة.. وبتقول بسيطة؟!

مين إللي يحكم إنها بسيطة.. أنا معلوماتي

بتقول إن حتمًا في تحقيق.. وأدام في تحقيق

يبقى في قضية.

قطة: أنا محدِّش حقق معايا.

حفظي: وإحنا لسه هنستنى! يا برودك

يا أخي! أمال أنا جاي على ملا وشي ليه؟!

قوم البِس هدومك دلوقتي حالًا.

قطة: ليه؟

حفظي: هنروح لمحامي.

قطة: الساعة اتنين بالليل؟

حفظي: مش مهم.. المسألة مستعجلة..

كمان المحامي زميل دراسة.. وهيقدَّر

الحالة.. قوم يا قطة.

قطة: والشغل يا خالي؟

حفظي: شغل إيه يا أبو... أنا عارف

إنك مبلِّغ مرضي من أسبوعين.

يبتسم قطة العدوي ابتسامة عذبة وكأنه يعترف أنه لا مفر من خاله حفظي عبد الدايم الذي يتجاوز ابتسامة قطة ويقول إمعانًا في إهانة قطة وذلك بمعرفة ما كان يفعله في الأسبوعين الماضيين.

حفظي: وعارف كمان إنك بتدُور في

t.me/qurssan

الشوارع زي المجانين.. وبتسأل عن

عنوان تنظيم وهمي.. مش ديه السكة

الصح يا قطة.. نفرض إن قضيتك

كبيرة.. وأنا عارف إنها كده.. يبقى

ملهاش غير طريق القانون.. قوم

البِس يلَّا.

يقوم قطة العدوي باستسلام كئيب متجهًا إلى غرفته، بينما يقول الأستاذ حفظي عبد الدايم وهو يصب نصف كوب آخر من علبة العصير غير مهتم بتوجيه كلماته لقطة أو لنفسه وبنفس قشعرة الملامح القرفانة.

حفظي: العصير ده فيه حاجة.

t.me/qurssan

٢٠

الأستاذ حفظي عبد الدايم يسحب ابن شقيقته قطة العدوي في شارع مظلم، خطوة الأستاذ حفظي أكثر نشاطًا وهمة، وهو يعلق ذراعه في ذراع ابن شقيقته الذي لا يجد مفرًّا من مُسايرة خطوة خاله الحماسية. وعلى الرغم من بدانة الخال وجسمه الرجراج مُقارنة بنحافة قطة العدوي، إلا أن خفة حفظي عبد الدايم تبدو رشيقة بجوار ثقل ابن شقيقته. يقول الخال بصوت عالٍ لا يناسب اثنين يمشيان في شارع مظلم بعد منتصف الليل.

حفظي: الأستاذ رأفت محامي كبير..

وإنت بتقول إن قضيتك مش عادية..

الأستاذ رأفت بقى بتاع القضايا

المش عادية.

قطة: صوتك يا خالي.

حفظي: ماله؟

قطة: عالي.

حفظي: اعذرني يا قطة..

القضية مش عادية.. إيه

المانع إن الصوت يبقى

مش عادي.

يقف الأستاذ حفظي وقطة على ناصية شارع يلتقي مع شارع أكبر لالتقاط تاكسي. يرفع الأستاذ حفظي يده لسيارة ملاكي فيقول له قطة بشيء من الإحراج.

قطة: ديه ملاكي يا خالي!

t.me/qurssan

يتجـاهل الأسـتاذ حفظـي عبـد الـدايم قـول ابـن شـقيقته قطـة العدوي، ويواصل رفع يده قبل اقتراب السيارات بفترة لا تسمح لنظـره الضعيف ونظَّارته السميكة من معرفة إن كانت السيارة أجرة أم ملاكي، وبطريق الصدفة يتوقف تاكسي يحمل زبونًا في الكرسـي الأمـامي. يميـل الأسـتاذ حفظي برأسه قريبًا من وجه السائق ويقول.

حفظي: شارع راغب.

يومئ سائق التاكسي برأسه بأن نعم. يفتح الأستاذ حفظي باب التاكسي الخلفي ويُدخل ابن أخته بدفع هين ثم يتبعه ويغلق باب التاكسي. الزبون الجالس بجوار السائق لا يظهر جيدًا من المقعد الخلفي الجالس فيه الأستاذ حفظي وابن شقيقته قطة العدوي، بسبب ارتفاع رأس المقعد الأمامي، وأيضًا بسبب المعطف الشتوي لـلزبون الخـارج قليـلًا عن حـدود المقعد الأمـامي. يُكمل السـائق حديثًا مع مَن بجواره.

السائق: في عز الشتا.

يأخذ السائق نفسًا من سيجارته ثم يضعها في طفَّاية السجائر أمام عصا الفتيس المضيئة بضوء فسفوري، ويقول وهو يُحرك يده في الهواء شارحًا كلماته بالأداء.

السائق: الله.. إيه الحكاية؟ الساعة اتنين

بالليل وأنا مأفز العداد بالفوطة.. وبيتك

بيتك.

طريقة السائق في الحديث المتقطع بين إشارات يده وإمساكه للسـيجارة ثـم وضـعها وميله على مَن بجواره، تجتذب الأستاذ حفظـي عبـد الـدايم الـذي ينسى بسهولة قضية ابن أخته قطة العدوي.

السائق: وألقاها واقفة على ناصية

t.me/qurssan

شارع خسرو.. ولا مؤاخذة بقميص

النوم.

يمسك السائق مرة أخرى السيجارة من الطفَّاية القريبة من الفتيس وهو يقسم ويميل على مَنْ بجواره بينما يُبدِّل الأستاذ حفظي مكانه مع ابن شقيقته قطة العدوي، وذلك بأن يدفع ابن شقيقته دفعًا لكي يعبر من فوق جسده البدين ليأخذ مكانه اعتقادًا أن مكان قطة العدوي أفضل لمتابعة حكاية السائق.

السائق: ولَّا عضمي يبقى زي الرماد ده.

يميل السائق على مَنْ بجواره ويفرد أصابعه ويضعها على صدره ويقول بينما الأستاذ حفظي يميل إلى الأمام.

السائق: آه.. لازم أقف أنا راجل

كبير وأقدَّر الولايا.

يلتفت السائق بنصف وجهه إلى الخلف ناحية الأستاذ حفظي عبد الدايم الذي لا يُكلِّف نفسه عناء مُداراة الفضول والتلصص على حديث لا يعنيه. يقول السائق إلى مَنْ بجواره، وهو يشير إلى المقعد الخلفي الجالس فيه الأستاذ حفظي عبد الدايم.

السائق: ركِبِتْ ورا.. لا مؤاخذة مطرح

الأستاذ كده.

يعود السائق إلى مَنْ بجواره ويقول وهو يشير برأسه إلى المرآة الداخلية بينما تبدو على ملامح قطة العدوي عذوبة التخلُّص من إلحاح خاله وهو ينظر إليه من عالم آخر.

السائق: ضربت اتنين ننى في المرايا..

لاقيتها عروسة يا دوبك عشرين.. واحد

وعشرين.. وأنا عندي عرايس قدها.. آه

t.me/qurssan

كانت بتنهج وعرقانة.. وإحنا إيه.. في عز

طوبة.. قمت لا مؤاخذة قالع الجاكيت إللي

لابسه.. كان لسه جديد بشوكه.. بنتي هدى

كانت جايبَهولي من الإمارات.

يتوقف السائق عند ذكر ابنته ويتمتم لها بدعاء مسموع وهو يرفع رأسه قليلًا إلى أعلى، بينما يتابع الأستاذ حفظي عبد الدايم من الخلف كلمات السائق بكل جوارحه.

السائق: ربنا يرزقك يا هدي بالخَلَف الصالح

ويطعِمك.. آه لسه باناولها الجاكيت...

يمثل السائق إلى مَنْ بجواره حركة إعطاء الجاكيت إلى البنت المجهولة التي ركبث في آخر لحظة في المقعد الخلفي وليس بجواره.

السائق: ما لقتهاش هِنا.

يلتفت السائق بجسده ويبتسم بصف من الأسنان الحديدية في فكه السفلي إلى الأستاذ حفظي عبد الدايم الذي يبدو عليه الخوف من الابتسامة الحديدية ويقول وهو يشير إلى مكان الأستاذ حفظي عبد الدايم.

السائق: لقتها هِنا.. مطرح الأستاذ..

وأنا قُلتلَك أنا راجل كبير.. يعني

ما يفرقش معايا تركب قدَّام ولَّا ورا.

من الطريق المعاكس تاكسي آخر يُكلِكس للسائق الذي يرد الكَلكَس ويرفع يده اليسرى لزميله ويقول بلهجة حميمية منفصلة عما كان يقوله وكأن حياته كلها وُجِدَتْ من أجل هذه العبارة.

السائق: عليَّ على ما تُفرَج.. مساء الفل..

t.me/qurssan

المهم خدت مني الجاكيت وحطته على

كتفها.

يأخذ السائق نفسًا من سيجارته ثم يضعها في الطفَّاية، ويقول بينما يتابع الأستاذ حفظي عبد الدايم بشغف وعينين مفتوحتين حديث السائق وأثره على مَنْ بجوار السائق، وذلك بأن يميل على ابن شقيقته قطة العدوي ليكشف المقعد الأمامي.

السائق: إنتِ منين يا بنتي؟ وبتعملي إيه

في الليل ده لوحدك؟ أنا كذا وكذا..

أقولّك الحق.

ينظر الأستاذ حفظي عبد الدايم إلى مَنْ بجوار السائق فلم يستطع التحقق من ملامحها بسبب المعطف الشتوي، وبسبب رأس المقعد المرتفع، وبسبب أن مَنْ يجلس بجوار السائق نظرته مستقيمة أمامه في زجاج التاكسي. يتابع السائق حديثه.

السائق: ما صدقتش كلامها.. وقُلتلها..

شوفي يا بنتي أنا زي أبوكِ.. ومش

هاضغط عليكِ عشان أعرف حكايتك..

لكن إللي أقدر أقولهولك.. الله يجازي

الليل.. أوديكِ فين؟ الشارع الغربي..

طيب.. طِلعت على الشارع الغربي.

يتوقف السائق عن الحديث، ثم يأخذ ولاعة من التابلوه ويمد يده بها مشتعلة إلى مَنْ بجواره، وهو يُبالغ في مد يده حتى لا يظهر وجه مَنْ بجواره. يحاول الأستاذ حفظي عبد الدايم أن يميل قليلًا في مقعده حتى يرى مَنْ بجوار السائق الذي يقول فجأة للأستاذ حفظي عبد الدايم مما يجعل هذا الأخير يعتدل في جلسته.

t.me/qurssan

السائق: فين في شارع راغب

يا أستاذ؟

يُفاجَأ الأستاذ حفظي عبد الدايم بالسؤال وكأنه نسي تمامًا كل شيء إلا حكاية السائق، فيقول مُرتبكًا بعد لحظات.

حفظي: آ.. رقم ٣٠ جنب سور

مدرسة الخُرس.

السائق: ربنا يعفو عنَّا وعنَّك

يا أستاذ.. فوتَّك في الكلام..

وعند عمارة نضيفة شاورتلي

وقالت أنا ساكنة هِنا في الدور

الرابع.. حبت تديني الجاكيت..

قُلتلها لأ.. وأنا هاعدي بكره

آخده.

من المقعد الأمامي تمتد أصابع أنثوية جميلة وطويلة ومسحوبة كأصابع عازفي البيانو، وزاد من طول الأصابع طول الأظافر المطلية بمانيكير أحمر صارخ. تمتد الأصابع إلى طفَّاية السجائر. ينظر الأستاذ حفظي عبد الدايم إلى الأصابع مدهوشًا، ويتابع عودة اليد الأنثوية، فيرى جزءًا من الذراع. يُكمل السائق حديثه مشيرًا بيده في الهواء.

السائق: رحت تاني العمارة.. وطلعت

على الدور الرابع.. فتحلي راجل

كبير في السن.. قُلتله أنا فلان

الفلاني.. وإمبارح بالليل حصل كذا

t.me/qurssan

وكذا.. سكت الراجل شوية.. وبان

على وشه الزعل.

يأخذ السائق علبة السجائر من تحت الطفَّاية ويهم بأخذ واحدة، فيجدها فارغة. تمد المرأة علبة سجائر إلى السائق، فيأخذ واحدة ويشعلها ويبتسم للمرأة التي يظهر نصف ذراعها مرة ثانية لعين الأستاذ حفظي عبد الدايم الذي ينظر إلى قطة العدوي ابن شقيقته وهو يشير إلى ذراع المرأة من فرط الدهشة. يتابع السائق حديثه.

السائق: وقام موريني في الصالون

صورة كبيرة ببرواز مُذهَب.. وقالي

هيه ديه إللي ركبت معاك

إمبارح.. قُلتله أيوا.. بص لي

وقال ديه بنتي وماتت من عشر

سنين.

يأخذ السائق نفسًا عميقًا من سيجارته ويقول وهو يميل على المرأة ممثلًا ما فعله بأن يضم قبضته وينفخ فيها بصوت دلالة على الفرار.

السائق: بنتك.. وماتت.. طيران.

يضحك السائق وهو يقول ويميل على المرأة ويُقسم قبل التعليق على الحدث الخارق بينما الأستاذ حفظي عبد الدايم يتابع فصول الحكاية.

السائق: والله ما عرفت نزلت السلالم إزاي.

يلتفت السائق إلى الأستاذ حفظي عبد الدايم فيجده مشدودًا في جلسته، فيقول ضاحكًا ويظهر صف أسنانه الحديدية ويشير إلى

t.me/qurssan

عربة فان تسد جزءًا من الطريق.

السائق: لا مؤاخذة يا أستاذ العربية

الفان سدَّة عليَّ الطريق.. رقم ٣٠

قدَّامك مترين تلاتة.

حفظي: آه.

يعبث الأستاذ حفظي عبد الدايم في جيبه ثم يُخرج ورقة من فئة الخمسين جنيهًا ويعطيها للسائق وعينه ما زالت معلقة بالمرأة في المقعد الأمامي. يأخذ السائق الورقة النقدية ويقول وهو يفتح باب التاكسي.

السائق: ثواني أفك من الكُشك.

ينظر السائق إلى المرأة ويبتسم ابتسامة غامضة مفادها أن الأستاذ حفظي عبد الدايم الآن هو لها. يلاحظ الأستاذ حفظي أن السائق يرتدي قميصًا خفيفًا لا يناسب طقس الشتاء، ثم يلتفت إلى المقعد الأمامي فيجد الجاكيت يغطي كتفي المرأة. يمد الأستاذ حفظي يده ناحية المرأة وهو يقف إلى الأمام نصف وقفة بما يسمح له سقف التاكسي ثم بعنف يُدير كتف المرأة ناحيته فيجدها فتاة في العشرين من عمرها تلبس قميص نوم مبلولًا. يصرخ الأستاذ حفظي عبد الدايم ويفتح باب التاكسي قافزًا إلى الخارج تاركًا ابن شقيقته قطة العدوي.

t.me/qurssan

٢١

أمام فيلًا غارقة وسط أشجار يقف قطة العدوي قبل درجات ثلاث من الباب الخارجي للفيلًا، ويتلفت حوله باحثًا عن خاله الأستاذ حفظي عبد الدايم الذي يظهر فجأة من وراء شجرة قصيرة ويبسبس لابن شقيقته قطة العدوي.

حفظي: بس.. بس.. قطة.

يلتفت قطة إلى مكان البسبسة، فيقطع الأستاذ حفظي الخطوات القليلة، يظلل جسده السمين الرجراج ضوء لمبة ضعيفة أعلى باب الفيلًا الخارجي. يقول قطة العدوي مبتسمًا لخاله.

قطة: إنت روحت فين يا خالي؟

حفظي: أنا هِنا أهوه.

يخرج قطة العدوي من جيبه باقي الخمسين جنيهًا ويعطيه لخاله وهو يقول وهما يصعدان الدرجات القليلة لباب الفيلًا الخارجي.

قطة: الباقي.

يأخذ الأستاذ حفظي الأوراق النقدية ويقول ببجاحة وهو يمسك اليد الحديدية التي تتحرك بمفصل للطرق على باب الفيلًا الخشب ويقول.

حفظي: خد خمستاشر جنيه في

المشوار ده.. مش كفاية حكايته

المرعبة.. خدت بالك.. طلعت

هيه.

لا ينظر الأستاذ حفظي إلى الباب في أثناء كلامه رغم طرقه المتواصل العالي باليد الحديدية على القطعة الحديدية المثبتة في الباب الأنيق وكأنه بيته ويعرف مُسبَّقًا مَنْ سيفتح له الباب.

t.me/qurssan

قطة: هيه مين؟

حفظي: ده إنت كنت سرحان..

طبعًا مش في قضيتك إللي متوقف

عليها مستقبلك كله.

بجوار اليد الحديدية في الباب الخشب الكلاسيك طاقة شبه مربَّعة عليها برواز من الحديد المشغول، ومن وراء الحديد المشغول ينفتح مربَّع آخر من الخشب، وتظهر من ورائه عينان عميقتان سوداوان تتفرَّسان في الشخصين الغريبين لحظات. ينظر الأستاذ حفظي عبد الدايم إلى قطة العدوي ثم يعود إلى العينين لينطق باسم المحامي إلَّا أن المربَّع الخشب من وراء مربَّع الحديد المشغول يُغلق.

حفظي: الأستاذ زا... إيه قلة

الذوق ديه؟!

ينفعل الأستاذ حفظي عبد الدايم ويطرق باليد الحديدية طرقًا أعنف، لكن إغلاق مُربع الخشب كان تمهيدًا لفتح الباب كله. ما إن يُفتَح الباب حتى يشعر الأستاذ حفظي بالخجل لكنه لا يستمر سوى لحظات ويعود إلى طبيعته، ويقول للبنت التي تتجاوز العشرين بقليل، صاحبة العينين الخارقتين.

حفظي: إيه ده؟ إنتِ مين؟

يتجاوز الأستاذ حفظي سريعًا سؤاله ويبدو أن السؤال اعتراض واستنكار لطول المدة التي قضاها أمام باب الفيلَّا، وهي مدة بمقاييس طبيعية ليست طويلة وهي أيضًا ليست قصيرة، وإلى جانب هذا يبدو من وجه البنت العشرينية أن سؤال الهوية بعيد عن النيل من عمق عينيها.

حفظي: الأستاذ زاهر المحامي..

قوليله حفظي عبد الدايم.. وابن

t.me/qurssan

أخته قطة العدوي.. بسرعة.

بأدب تفسح البنت العشرينية المجال لدخول الأستاذ حفظي عبد الدايم وابن شقيقته قطة العدوي الذي تتعلق عيناه بهيئة البنت العشرينية التي تقول وهي تغلق باب الفيلّا بينما يكون الأستاذ حفظي قد قطع مسافة شاذة إلى منتصف الهول الكبير بينما يكون قطة العدوي في منتصف المسافة بين خاله وبين البنت العشرينية التي تقول بأدب وصوت هادئ وهي ما زالت قريبة من الباب.

نسرين: الأستاذ زاهر عيَّان.

يعود الأستاذ حفظي عبد الدايم من منتصف الهول الواسع إلى نسرين التي ما زالت واقفة قرب الباب الخارجي، يقطع المسافة بخطوات سريعة، ويتجاوز مرة ثانية في طريقه ابن شقيقته قطة العدوي، وكأنه سعيد بذلك البراح الكبير للهول. يقول وهو قريب من وجه نسرين الهادئ وقريب أيضًا من عينيها العميقتين، وبصوت مرتفع قليلًا، ونرفزة مُنفلتة.

حفظي: إيه.. بتقولي عيَّان.. عيَّان!

استنكار الأستاذ حفظي عبد الدايم لمرض المحامي وترديده لكلمات نسرين كأنه يلوم المرض ذاته. تقول نسرين بهدوء أكثر واختراق كامل من عينيها لعينيّ الأستاذ حفظي عبد الدايم وبصوت منخفض.

نسرين: أيوا عيَّان.

يتراجع قليلًا الأستاذ حفظي عبد الدايم أمام نظرات نسرين الثابتة الجامدة ويقول بشيء من الرجاء غير الصريح.

حفظي: أنا صاحب عمره.. والمسألة

ما تحتملش التأجيل.. عارف إن

الساعة مش مناسبة.. بس أنا طمعان

t.me/qurssan

في كرم المحامي الكبير.

لا تهتم نسرين كثيرًا بلين كلمات الأستاذ حفظي عبد الدايم بل تكاد تتقدم ناحية غرفة باب ينفتح على الهول الواسع قبل أن يُكمل الأستاذ حفظي كلماته، الذي يمشي وراءها بدناءة الوصول إلى مراده بصرف النظر عن الطريقة. تلقي نسرين وهي تتجاوز قطة العدوي نظرة ثقيلة على هذا الشاب النحيف. يتقدم الثلاثة في ضوء ضعيف جدًّا ينبعث من أركان الهول الواسع الذي يُزيد من اتساعه قلة الأثاث. يسأل الأستاذ حفظي عبد الدايم قبل باب غرفة المحامي، ويأتي السؤال في ظهر نسرين التي لا تكلف نفسها بالالتفات إليه، والسؤال يأتي بمنتهى الخنوع، والإجابة تأتي بمنتهى الاستعلاء.

حفظي: إنتِ ممرضة؟

نسرين: أيوا.

تفتح نسرين الممرضة باب الغرفة التي لا تقل ظلامًا عن هول الفيلَّا. يتقدم في البداية الأستاذ حفظي عبد الدايم ثم بفتور يتقدم قطة العدوي، وتقف نسرين في حلق الباب تنظر بقوة إلى قطة العدوي. ينبعث ضوء خفيف من أحد الأركان، ويتصدَّر الغرفة سرير كبير بظهر شاهق، بحيث يحسد كل إنسان زاهر المحامي لتمتعه بهذا الظهر الشاهق الذي يستند عليه إلى الأبد. يبحث الأستاذ عبد الدايم بعينيه وسط الفراش الكثيف على السرير، وهو ينادي على زميل عمره.

حفظي: زاهر.. أنا صديق العمر

حفظي عبد الدايم.

يتحسس الأستاذ حفظي عبد الدايم تخوم الفراش الكثيف حتى يعرف أين حدود جسد صديقه الذي يزوم زومة خفيفة، ويرتفع قليلًا في الفراش، وهو متدثر بالبيجامة وفوقها روب وعلى رأسه طاقية من الصوف. ملامح وجه زاهر المحامي تشي بأنه على

t.me/qurssan

مشارف الستينيات من العمر.

زاهر: آه.. حفظي.

نُطق زاهر لاسم صديقه لا يحمل معاني الترحيب لكنه لا يحمل أيضًا عدم الترحيب، لعله يحمل الانتظار حتى يعرف سبب الزيارة. تقترب نسرين من السرير بينما يجد الأستاذ حفظي مكانًا مناسبًا على طرف السرير قريبًا من صديقه وهو يلتفت إلى ابن شقيقته قطة العدوي، فتتحرك نسرين إلى أحد أركان الغرفة، وتأتي بكرسي وهي تنظر إلى قطة العدوي، وتضعه في مكان مناسب بجوار خاله. يفهم قطة العدوي إشارة نسرين، فيقترب دون عجلة من الكرسي، ويبتسم لها ابتسامة خفيفة.

حفظي: عيَّان بـ.. إيه.. القلب..

القلب.. هاا.

كأن زاهر المحامي يجد في اقتراح صديقه بأنه مريض بمرض القلب اقتراحًا وجيهًا، لأنه ينظر قليلًا متفكرًا إلى سقف الغرفة ثم يهز رأسه إلى صديقه بأن نعم هو القلب. يهز الأستاذ حفظي عبد الدايم رأسه بشيء من التصنع بينما تغادر نسرين بهدوء غرفة نوم زاهر المحامي، وتلقي نظرة أخيرة على قطة العدوي الذي يُبادلها النظرة، وهي توارب الباب وراءها. يقول الأستاذ حفظي بمزيج من الإحراج والتصنع.

حفظي: وإيه من إللي إحنا

عايشينه ما يجبش القلب..

سلامتك يا صاحبي.. على

كده أنا مش هاقدر أتكلم

في الموضوع إللي كنت

عاوزك فيه.

t.me/qurssan

يـرتفع زاهـر المحـامي قليـلًا بنصـفه الأعلـى علـى ظـهر السـرير الشاهق، ويقول بنصف وهن، وهو يتحسس الطاقية الصوف على رأسه.

زاهر: ليه.. اتكلم.

حفظي: قضية ابن أختي..

قطة العدوي.

ينظر الأستاذ حفظي عبد الدايم إلى قطة العدوي مُبتسمًا إشارةً منـه إلـى أن الجـالس بجـواره هو ابن أختـه قطة العدوي. تدب الحيوية في أوصال زاهر المحامي عندما يعرف أن الغرض من الزيارة هو العمل، فيرتفع أكثر على ظهر السرير الشاهق، وينظر نظرة خبيثة متفحصة ويقول وهو يساندها بابتسامة إلى قطة العدوي الذي لا يرتاح لنظرته.

زاهر: آه.. سمعت عنها.

يلتفت الأستاذ حفظي عبد الدايم إلى ابن شقيقته قطة العدوي ويقول مُذكِّرًا ابن شقيقته أن كلامه كان صحيحًا ثم يعود بنظرته إلى زاهر المحامي.

حفظي: صدَّقت.

قطة: وإنت عيَّان؟

يبتسم زاهر المحامي بدبلوماسية لسؤال قطة العدوي غير الخالي من بعض الفظاظة ويجذب مخدة تحت كوعه ويقول مُفسرًا وقد ازدادت حيويته.

زاهر: أيوا أنا عيَّان.. بس

غالبًا باسمع من أصدقاء المهنة

عن معظم القضايا.. خصوصًا

القضايا المشهورة زي قضيتك..

t.me/qurssan

كمان ما تنساش إنك ابن أخت

صاحب عمري.

يبتسم الأستاذ حفظي عبد الدايم وينظر بفخر إلى ابن شقيقته عند قول زاهر المحامي «صاحب عمري» بينما لا يهتم قطة العدوي بابتسامة خاله ويقول لزاهر المحامي باستغراب.

قطة: مشهورة؟!

زاهر: متهيألي طريقتك في التعامل

مع القضية هوه إللي خلّاها غريبة

ومشهورة.

قطة: إزاي؟

زاهر: يعني مثلًا مُحاولات بحثك

عن جهة عُليا بشكل عشوائي.. ده

ضر كتير بقضيتك.. الجهات العليا

مش المفروض إن المتهم يقف

قدّامها.. في دولاب بيروقراطي..

محاكم.. محامين.. مستشارين..

إنت نطيت كل ده.. الجهات العليا

معنية بس بإصدار الأوامر..

خلق المهمة والتكليف.. المتابعة

حاجة تانية وليها أجهزة خاصة

منفصلة تمامًا عن الجهات العليا.

t.me/qurssan

حفظي: يعني في أمل؟

يبتسم زاهر المحامي لقول صديقه الأستاذ حفظي عبد الدايم ابتسامة تتهم الصديق بالسذاجة فيقول له بتفضل مَنْ يشرح شيئًا عويصًا لكنه يريد تبسيطه إلى أقصى درجة.

زاهر: طبعًا.. أنا هاهتم بالقضية

عشان بتمثل لي تحدي مِهَني.. لكن

بالنسبة للأمل.. عاوز أقولّك

يا صاحبي قضايا من النوع ده.. طالما

إن ابن أختك مشي في طريق الجهات

العليا.. بيبقى صعب على المحامي

إنه يلغي الطريق ده.. المشكلة إن

طريق الجهات العليا بتتحول فيه

القضايا من قضايا دفاع عن المتهم

إلى قضايا اعتراف من المتهم قدّام

الجهات العليا.. يعني دور المحامي

بيبقى تحصيل حاصل.. المشكلة

الأكبر إن الجهات العليا كتيرة

والمهمات والأوامر كتيرة برضه..

يعني احتمال لو نجحت إنك تبقى

بين إيدين جهة عليا.. ممكن قوي

تكون الجهة ديه مش هيه مصدر

المهمة إللي إنت قصّرت فيها..

t.me/qurssan

وفي الحالة ديه يفقد الاعتراف

معناه.

حفظي: إيه الفوضى ديه!

اسمحلي يا أستاذ زاهر..

معنى كده إن الجهات العليا

مفيش صلات بينها وبين

بعض.

زاهر: في طبعًا.. بس الحكاية

بتاخد وقت على بال ما يتم

التحري عن صاحب الاعتراف

والجهة العليا المعنية باعتراف

قطة العدوي.. ولازم تعرف

إن صيغة الاعتراف في حالة

ابن أختك.. ده لو فرضنا مع

التشاؤم إنه وصل للجهة العليا

الغلط.. بتتسجل بمنتهى الدقة..

عشان لمَّا يوصل المتهم لجهة

التكليف الصحيحة.. ممنوع عليه

إنه يقول الاعتراف بنفس الكلمات..

يعني عليه إنه يخترع اعترافه

بكلمات تانية.. وده طبعًا لحفظ

t.me/qurssan

ماء وجه الجهة العليا المنوطة

بتكليف المتهم.. يعني من حقها

إن كلمات الاعتراف يكون المتهم

بينطقها للمرة الأولى قدَّامها.

عبر باب غرفة نوم زاهر المحامي، المُوَارَب، يأتي صوت انكسار زجاج، الصوت مرتفع، ويأتي من عمق الفيلَّا. يلتفت قطة العدوي إلى مصدر الصوت الآتي من خارج الغرفة ثم ينظر إلى زاهر المحامي، وإلى خاله الأستاذ حفظي عبد الدايم ويقول.

قطة: هاشوف في إيه.

يترك قطة الغرفة بانفعال مُتجهًا ناحية الصوت. يقطع منتصف الهول المظلم ثم يقف حائرًا لحظات ثم يأتي تحطم زجاج مرة ثانية، وأعنف من المرة الأولى. يحدد بدقة قطة العدوي مصدر الصوت الآتي من ممر ينتهي بالمطبخ. يتقدم قطة العدوي بتسارع متصاعد في خطوته وازدياد في انفعاله وسط ظلام مُضاء من أركان بعيدة بضوء ضعيف. تتلقف نسرين يدي قطة على باب المطبخ، وتقربهما من وجهها بسرعة، كما تدخل به سريعًا إلى المطبخ الواسع المضاء فقط بلمبة شفَّاط الدهون فوق البوتاجاز. أرض المطبخ مليئة بأطباق صينية مُحطمة، ويبدو من خريطة الحطام أن حطام الأطباق كان كثيفًا في مكانين متباعدين من أرض المطبخ، وبين المكانين نثار الحطام، وأن التحطيم كان على دفعتين بينهما فارق زمني. تُجلس نسرين قطة العدوي على كرسي من بين ثلاثة كراسي حول ترابيزة المطبخ، وهي تجلس تحت قدميه، وما زالت تمسك يديه، وعيناها العميقتان تزدادان حزنًا وقتامة ونفاذًا. تقول وهي تجثو على ركبتيها، وتحاول أن تقترب من وجهه بأقصى ما يسمح لها وضعها على الأرض، وبلهجة شديدة التأثر تَبرُق عيناها بما يشبه الدموع.

t.me/qurssan

نسرين: كنت متأكدة إنك هتفهم.

تفلت نسرين يد من يديها وتشير بها إلى حطام الأطباق الأول ثم إلى حطام الأطباق الثاني وتُكمل كلماتها بانفعال يقترب من البكاء بينما يتابع قطة العدوي الإشارتين.

نسرين: ده للندا الأول.. وده

للطريق.

قطة: أنا كمان كنت بافكر

فيكِ.

نسرين: استنيت تخرج لوحدك

من غير ما أناديك.

قطة: ما كانش ينفع والأستاذ

زاهر بيتكلم عن القضية..

على الأقل هيه قضيتي..

والأهم إن ما كانش ينفع أخرج

من غير حجة.

نسرين: أنا اسمي نسرين.

قطة: وأنا اسمي قطة.

نسرين: عارفة.

قطة: عرفتيه من شوية؟

نسرين: لأ.. من قبل كده.

قطة: إزاي؟

نسرين: الأستاذ زاهر اتكلم

t.me/qurssan

عن قضيتك قدَّامي.

قطة: هيه ميؤوس منها

للدرجة دي؟!

نسرين: تقريبًا.. مش باين

عليك إني عجبتك.

قطة: خليني الأول أصدق

إنك بتقولي كده.

يبتسم قطة العدوي وتبتسم نسرين التي تقول وهي تحرك ركبتيها على بلاط المطبخ القاسي بلهجة دلع وتشير بيدها إلى ساقيَّ قطة.

نسرين: أنا رجْليَّ وجعتني..

ممكن أقعد هِنا؟

قطة: ممكن.

تقوم نسرين من على الأرض وتجلس بشكل أفقي على ساقي قطة العدوي، وتُعلق يديها وتشبكهما وراء رقبة قطة، ثم ترفع قدميها في الهواء مثل الأطفال وكأنها تُجرِّب أرجوحة جديدة وتميل برأسها إلى الخلف، وبعد تجريب إمكانيات جلستها الجديدة تخفف من الضغط على رقبة قطة ثم تقول له وهي قريبة جدًّا من وجهه حتى إن عينيها تسحقان كيان قطة الضعيف.

نسرين: إنت عنيد زي ما سمعت

عنَّك؟!

قطة: مين إللي قال عني إني عنيد؟

t.me/qurssan

نسرين: قطة ما تتورطش أكتر

من كده.. أرجوك.. محدِّش

يقدر يدافع عن نفسه قدَّام

محكمة زي ديه.. اعترف في

أول فرصة واخلص منهم.

يستعدل قطة العدوي ساقيه وهو يحيط بيديه جذع نسرين ويضبطها أكثر على ساقيه مثل طفلة، وتستجيب نسرين لتصبح جلستها أكثر راحة ويقول بخيبة أمل.

قطة: حتى الاعتراف طلع

فيه مشاكل.. لازم الأول

أعرف هاعترف قدَّام مين.

نسرين: الأستاذ زاهر هيساعدك.

قطة: وإنتِ؟

نسرين: أنا ممرضة.

قطة: وأنا ضايع.

نسرين: ممكن أساعدك في ديه..

إنت بتحب؟ خاطب؟

قطة: التانية.

نسرين: معاك صورة ليها؟

يميل قطة العدوي بجسده محافظًا على توازن نسرين في حِجْره، ويُخرج من جيبه الخلفي محفظة من الجلد، ويضعها بيأس بين يدي نسرين التي تشع عيناها بالفرحة، وتتكور في حِجْره مثل قطة منزل، وهو يحوِّط بيديه ظهرها وجذعها حتى تتوازن في

t.me/qurssan

الجلسة الجديدة. تقول نسرين بلهجة طفلة بيدها لعبة، وهي تفتح المحفظة وتقلب في محتوياتها.

نسرين: استنى.. أنا هالاقيها لوحدي.

تبحث نسرين وتُخرج أطراف كروت ثم تُدخلها مرة ثانية، وأطراف صور صغيرة تُخرجها إلى النهاية ثم تُدخلها مرة أخرى، وبعرض وطول المحفظة وهي منطبقة تجد صورتين كبيرتين قديمتين وقد أخذتا تقويسة وانثناء المحفظة لوضعها في الجيب الخلفي، وتجعيدة العرق. واحدة لخال قطة الأستاذ حفظي عبد الدايم، والثانية لفتاة يصعب تحديد عمرها، لسقوط وجهها على كتاب في يدها، ووراءها نافذة مُغلقة. تنظر نسرين إلى الخال حفظي ثم تنظر بخيبة أمل إلى قطة. يبتسم قطة وتبتسم نسرين ثم تنظر إلى الفتاة وتقول باستفهام أقرب إلى اليقين وهي ترفع الصورة.

نسرين: هيه ديه؟

قطة: أيوا.

نسرين: بتحبها؟

قطة: أنا حاطتها مع

صورة خالي.

نسرين: عقاب؟

قطة: تقريبًا.

نسرين: شكلها أليطة.. كإن

محدِّش قرا كتاب إلا هيه..

إنت قريت الكتاب ده؟

قطة: لأ.. بس اسمه مش

t.me/qurssan

ناسيه.. عشان غريب شوية.

نسرين: اسمه إيه؟

قطة: «خسوف كلي».. تأليف

«جاليليو جاليلي».. ترجمة

الفقير لله «عبود شيخ الأرض».

نسرين: ولمَّا هوه غريب بالنسبة

لك.. إزاي ما قرأتوش؟

قطة: أولًا كانت مستعيراه من

مكتبة.. ثانيًا ما باحبش القراية..

وثالثًا كان كفاية عليَّ غرابة

اسم الكتاب واسم المؤلف

واسم المترجم.

نسرين: وهيه اسمها إيه؟

قطة: عايدة الضمراني.

نسرين: ممكن أكون مكانها؟

قطة: هيه مش موجودة.

نسرين: ماتت؟

قطة: سبنا بعض من زمان.

نسرين: وشايل صورتها ليه؟

قطة: عشان أفتكر الكتاب.

نسرين: إيه الفرق بيني وبينها؟

t.me/qurssan

قطة: إنتِ أجمل.. بس هيه

ما كانتش تعرف حاجة عن قضيتي.

نسرين: إنت بتقول سيبتها من

زمان.. وقضيتك بقالها شهور.

قطة: بس في النهاية ما كانش

في قضية.

نسرين: يعني كان ممكن تحبني

لو ما كنتش أعرف حاجة عن

قضيتك؟

قطة: ممكن.

t.me/qurssan

٢٢

في صالة الشقة يجلس وليد في كنبة أنتريه كبيرة مريحة، وعند الزاوية الأخرى تجلس سناء، وقد مدَّت ساقيها على الترابيزة الكبيرة أمام كنبة الأنتريه، وعلى كرسي قريب بالطو حريمي، وعلى الكرسي نفسه حقيبة، يخرج من فوق بكرات شفرتها في الهواء رقم ٦٦٦. وليد يبدو في الأربعينيات من عمره، وسناء تبدو في أواخر العشرينيات. يرن التلفون الموضوع على حافة الترابيزة. ينظر وليد إلى سناء ويشير بيده فيما معناه أنه سيرفع سمَّاعة التلفون، وتأتي إشارة السماح من سناء برأسها أيضًا، لكنها إشارة ضعيفة جدًّا ومتأخرة قليلًا في رد فعلها بسبب السيجارة الملفوفة بين أصابعها. يرفع وليد سمَّاعة التلفون ويقول بصوت بارد غير مُرحِّب.

وليد: ألو.

جمال: ألو.. أنا جمال يا وليد..

صحيتك؟

وليد: لأ.. صاحي.

ينظر وليد إلى سناء التي تتكئ بمرفقها على كنبة الأنتريه، وبنفس رد الفعل البطيء تنظر إلى وليد نظرة لا تعكس سوى عينيها.

جمال: باقولّك.. خدت بالك سناء

مشيت إمتى من الحفلة؟

وليد: لأ.

جمال: تكون مشيت مع أمنية؟

وليد: ممكن.

جمال: يعني ما مشيتش معاك؟

t.me/qurssan

وليد: لأه.. طبعًا.. الحقيقة يا جمال

أنا دخلت الحفلة وأنا معمي.. كنت

قبلها عند عادل.. وإنت عارف

قعداته.

جمال: وهاعرف منين؟!

وليد: ما تعرفش عادل حلمي؟

جمال: لأ.. قصدي هاعرف

منين دماغ سناء وضَرَبَانها.

وليد: كلمت أمنية؟

جمال: قافلة الموبايل.

وليد: وسناء؟

جمال: برضه مقفول.

تلتفت سناء عندما تسمع اسمها إلى وليد وتقترب على كنبة الأنتريه وتمد يدها في الهواء لتعطي وليد نصف السيجارة الملفوفة، ويأخذها منها وليد، وكأن سناء اعتقدت أن وليد يذكرها أنه معها في السيجارة الملفوفة. يقول وليد وهو يأخذ نفسًا.

وليد: تلاقيهم في الطريق

ومش سامعين.. شوية

وتلاقيها وصلت.

جمال: والله أنا تعبت يا وليد..

خمس سنين على الحال ده.

t.me/qurssan

وليد: إنت فين دلوقتي يا جمال؟

جمال: في الزفت البيت.

وليد: أنا عايزك تهدا كده..

وتقوم تشرب حاجة خفيفة.

جمال: خفيفة؟!

وليد: بلاش.. تقيلة..

المهم إنك تهدا.

يمد وليد يده بالسيجارة الملفوفة في رمقها الأخير إلى سناء التي بجهد ثقيل تميل على كنبة الأنتريه وتأخذ من يده السيجارة.
يقول جمال بنبرة استدراك على كلمات وليد.

جمال: وليد.. إنت قلت ممكن

يكونوا في الطريق.. صدفة إن

يكون الموبايلين مقفولين.. ولّا

معنى كده إنهم مع بعض في

عربية واحدة؟

وليد: أيوا.. تقريبًا أمنية قالت

لي في الحفلة إن سناء ركنت

عربيتها عند بيتها.

جمال: بيت مين؟

وليد: بيت أمنية يا جمال..

فطبيعي إنها تروح معاها.

جمال: تروح على أمنية..

t.me/qurssan

ولّا عندي هِنا؟

وليد: ما اعرفش يا جمي..

بس أكيد هَيبان.. ما تقلقش.

تقوم سناء ببطء، وهي تنظر بريبة وشك إلى الحقيبة الموضوعة على الكرسي في مرمى نظرها لا سيما الأرقام الثلاثة الطائرة في الهواء فوق بكرات شفرة الحقيبة ٦٦٦. تدور سناء بحرص من وراء الترابيزة وبين أصابعها بقايا السيجارة الملفوفة، وعيناها لا تُفارقان أرقام ٦٦٦، إضافة إلى حفظ توازنها، وكأن أحدًا أقنعها أنها تحمل أيضًا حملًا على رأسها، فإذا أرادت النهوض، فعليها أن تتحمل عبء ما قد يسقط عن رأسها، ما دامت هي تريد شيئًا آخر قد يبدو خارج حسابات الهلوسة. تتقدم سناء من الحقيبة، وتمد أصابعها ببطء، وكأن الأرقام الثلاثة الطائرة في الهواء عرضة للاختفاء. تقبض سناء بأصابعها على الهواء فوق بكرات شفرة الحقيبة، وتختفي أرقام ٦٦٦.

جمال: مش عارف أعمل إيه..

نفسي مرة أثق فيها.. وهيه

مصممة تدوس على الثقة ديه..

وكأنها بتقولّي ما يفرقش

معايا ثقتك فيّ.

وليد: اسمع يا جمال.. أنا مش

عاوز أتكلم في الماضي..

وأقلب عليك مواجع.. ياما

قُلتلك سناء...

في رحلة عودة سناء من عند الحقيبة مرورًا بالدوران حول

t.me/qurssan

الترابيزة، وهي رحلة صعبة لما تظن أنها تحمله على رأسها، وهو حِمْل غامض يقع بين الكسر والانسكاب، بين الجمود والسيولة، ويزيد من عبء الرحلة أن سناء تسمع اسمها يتردد على لسان وليد، فتنظر إليه وكأنه يناديها، ثم تتقدم ببطء وتعود إلى جلستها السابقة بينما ينظر وليد إليها ببرود ويبتسم ابتسامة يأس خفيفة لا تمنعه عن تكملة قوله.

وليد: مش مناسبة ليك.. هيه

حاجة وإنت حاجة تانية خالص..

ده كان اختيارك.

جمال: واختيارها.

وليد: ردك ده يخليني أقولّك

الكلام بشكل جارح أكتر..

عشان ده رد ينرفز.. سناء

كانت شديدة عليك من الأول.

جمال: وليد.. مش هاعرف

أنام.. ممكن أعدي عليك؟

وليد: لأ.

جمال: ليه؟

وليد: أنا هانام بعد شوية.

t.me/qurssan

يرفع فتحي باب الثلّاجة إلى أعلى. تقف جمالات بجوار الثلّاجة لترفع معه ساق سعد الدين عمران الحقيقية بينما يجلس سعد الدين عمران على السرير وبين يديه برواز فارغ من الخشب، يمر على حدوده بخرقة مبلولة بمادة الجمالكة، فيكتسب البرواز لمعة فورية. أسفل الثلّاجة صندوق مستطيل من الخشب هو بمثابة بيت مُحكم لساق سعد الدين عمران الحقيقية، الصندوق قريب من بيوت الآلات الموسيقية. بجوار السرير تقف الساق الصناعية بكامل هيئتها، مُرتدية الحذاء المُدبب. يشير سعد الدين عمران قبل أن تشرع جمالات في مساعدة زوجها فتحي إلى لوحة عارية من البرواز بجوار الحائط الذي به الباب الفرعي بين غرفة سعد الدين عمران وغرفة ضيافة خالد. يقول سعد الدين عمران.

سعد الدين عمران: جمالات.. هاتيلي

اللوحة ديه.

تتحرك جمالات من جوار الثلّاجة وتأخذ اللوحة من جوار الحائط وتعطيها لسعد الدين عمران الجالس الذي يأخذها منها ويقول لفتحي عن ساقه الحقيقية.

سعد الدين عمران: مش هتلفها في

حاجة؟

يهرش فتحي في شعر قفاه، ويقول وهو يغرز إصبعه في الساق الحقيقية وهي ما زالت في الثلّاجة بينما هواء البحر يدفع طرف الستارة على وجهه.

فتحي: ما هيه مجمدة قوي..

تستحمل الطريق وزيادة.

سعد الدين عمران: يا بني آدم أنا

t.me/qurssan

باتكلم على الحُزمانية.. هتحطها

حاف كده في الصندوق؟

يقول سعد الدين عمران وهو يبتسم لكلماته موجهًا حديثه إلى جمالات بينما يكرر فتحي غرز إصبعه في الساق الحقيقية كأنه لم يفهم كلمات سعد الدين عمران. لا يتحرك فهمه عن أن المشكلة هي بقاء الساق الحقيقية مُجمَّدة مدة الطريق. يأخذ سعد الدين عمران في حسابه أن عقل فتحي توقف هنا فيقول له على الطاير قبل أن يحدِّث جمالات.

سعد الدين عمران: خلاص يا توحة.. والله

عرفت إنها هتستحمل الطريق.. أنا آسف..

جمالات.. والنبي شوفيلنا حتة خِرْقة في المطبخ

نلف فيها القتيل.

جمالات: الحتت إللي عندي في المطبخ

صُغيَّرة.. القتيل عاوز حاجة كبيرة.

سعد الدين عمران: طب ممكن جلابية

قديمة من عندك.

جمالات: إيه؟! ما عنديش جلاليب قديمة.

سعد الدين عمران: طب عشان خاطر

عمك سعد.. أي جلابية واعتبريها

قديمة.. وأنا هادفع تمنها.

تبتسم جمالات وتتجه بدلع إلى باب الغرفة ويتابعها سعد الدين عمران بعينيه وهو يبتسم أيضًا منتظرًا منها قفلة أخيرة قبل خروجها. تكاد جمالات تُفلت فردة الشبشب أبو صباع اليسرى من قدمها، وهي تفتح باب الغرفة ثم تستعيد الفردة بتأخير قدمها

t.me/qurssan

يقـول سـعد الـدين عمـران لنفسـه تعليقًا علـى انفـلات شـبشب جمـالات ثـم يعـود إلـى قيـاس اللوحـة علـى البـرواز الفـارغ مـن الخارج.

سعد الدين عمران: هوه ده.

يفتح خالد باب الغرفة الفرعي مرتديًا الجاكيت الجلد ومن تحته البلوفـر والكوفيـة مربوطة على الطريقة الفرنسية ويقول وهو يتقدم في حذر في غرفة سعد الدين عمران، لأن مخلفات النجارة والدهانات وبقايا مراين الخشب في كل مكان. يقول خالد لسعد الدين عمران وهو يُقرب الصندوق الخشبي المزخرف من السرير.

خالد: أنا جاهز.

ينظر سعد الدين عمران بتأثر مصطنع ويقول لخالد بنبرة مزاح ثقيل وهو يشير بيده ناحية الثلّاجة التي يرُجع فتحي بابها لحين حضور جمالات.

سعد الدين عمران: جاهز لدفن حتة

مني.. يا قلبك.

ببرود يتذكَّر خالد مقطعًا من أغنية شعبية لعبد الباسط حمودة، فيقول مُحاولًا بلحن الأغنية وهو يبتسم لسعد الدين عمران.

خالد: إدِّيني قلبك وخدي قلبي..

إدِّيني إيه.

سعد الدين عمران: آه يا قلبي.

يصمت سعد الدين عمران لحظات وكأنه تذَكَّر شيئًا، ثم ينحي البرواز الفارغ واللوحة جانبًا ويقول وهو ينظر إلى خالد نظرة قوية بينما يُزيِّت فتحي المنجلة عند أكسها الأفقي بعد أن أغلق باب الثلّاجة لحين.

سعد الدين عمران: لو فرضنا إنك شرير..

t.me/qurssan

وإنك ما سامحتش في بيت الرمل إللي

هدتهولك من تلاتين سنة تقريبًا على

البلاج مع ملاحظة إني ما كانش قصدي..

لو فرضنا الفرض ده.. يبقى إنت النهارده

هتاخد حقك وإنت بتدفن رِجْلي.

خالد: بلاج عتاب يا عم سعد.. لو عاوز

الكلام الكبير دورلنا على واحد تالت

ياخدلي حقي وحقك من الزمن.

سعد الدين عمران: يعني الزمن كبير..

وأنا وإنت نص نص؟!

خالد: والكبير كبير.

سعد الدين عمران: والنص نص.

خالد: نص نص.

يضحك سعد الدين عمران ويضحك خالد. تدخل جمالات الغرفة وفي يدها جلابية تشير بها في الهواء إلى سعد الدين عمران الذي يقول لها.

سعد الدين عمران: تسلميلي يا جمالات.

ينادي سعد الدين عمران على فتحي المستغرق تمامًا في اختبار نعومة المنجلة بينما تضع جمالات الجلابية كبطانية في الصندوق الخشبي.

سعد الدين عمران: فتحي.. اشحن يا وَخش.

يفتح فتحي مرة ثانية باب الثلّاجة ويحمل بيديه الساق الحقيقية الملفوفة بشاش طبي تغير لونه مع السنوات. تبتعد

t.me/qurssan

قليـلًا جمالات عن الصندوق الخشبي ونظرة رهبة على وجهها يخالطها نفور عابث. يضع فتحي الساق في الصندوق المستطيل كما يضع عازف الفيولينا آلته الموسيقية في جرابها. يلملم فتحي أطـراف الجلابيـة علـى السـاق ثـم يغلـق الصـندوق ويحكمـه بخطافين مثبتين في الخشب، ومن المقبض المزروع في منتصف الصندوق يحمله فتحي ليتأكد من سلامة الشحن.

t.me/qurssāh

٢٤

تقف مريم بعربة شيروكي أمام البيت، موتور العربة دائر، ومريم على المقود، والسماء صباحية غائمة، والبحر أزرق عريض. يخرج من البيت فتحي يحمل في يده المستطيل الخشبي من مقبض المنتصف كما يحمل العازف جراب الفيولينا، وتمشي خلفه جمالات وخالد. يعوق الثلاثة قليلًا رمل الشاطئ. الأمتار بينهم وبين العربة الشيروكي ليست بالقريبة وليست أيضًا بالبعيدة. تفتح مريم باب العربة، وهي تحمل في يدها مج النسكافيه المصمم للعربات بقاعدته التي لها مكان بجوار الفتيس. تتجه مريم إلى شنطة العربة الخلفية، وتفتح بابها بينما يصل فتحي في المقدمة. تشير مريم في منتهى الكسل بيدها التي تحمل المج إلى أرضية الشنطة، ويبدو على ملامحها آثار النوم، وهي ما زالت تتثاءب. يضع فتحي المستطيل الخشبي، وتغلق مريم باب العربة، وتشير بيدها إلى خالد أن صباح الخير. يتجه خالد إلى باب العربة الأمامي، وكذلك مريم إلى باب القيادة. يعود فتحي إلى البيت، وهو يُجاهد بقدميه مع الرمال، وجمالات خلفه تتعثر في شبشبها ثم تلحق به، وتقفز من الخلف على رقبته لتبطئ خطوته، وهي تبتسم، وفتحي يزداد عزمًا في مشيته، لكنه لا يمنع جمالات من إعاقته ولا يبتسم.

t.me/qurssan

على طريق صحراوي تنطلق العربة الشيروكي بمريم وخالد. تقول مريم وهي على المقود بينما خالد يشعل سيجارة.

مريم: خالد.. إنت سعيد؟

خالد: في إيه؟

مريم: في حياتك بشكل عام.

خالد: إحنا ما اتفقناش على

أسئلة من النوع ده.

مريم: خايف تجاوب؟

خالد: مش يمكن ما عنديش

إجابة من الأصل.

مريم: طيب بلاش.. إيه

حيوانك المُفضَّل؟

خالد: الضبع.

مريم: يا ساتر.

خالد: وإنتِ؟

مريم: الزرافة.

خالد: هبلة يعني.

تضحك مريم وهي تأخذ مج النسكافيه من قاعدة الفتيس ويضحك أيضًا خالد وهو يشعل سيجارة. تقول مريم بنبرة اعتراف.

مريم: آه يا عيني عليها.. طويلة

t.me/qurssan

قوي.. ورقبتها مأساة.. شوفت

لمَّا بتشرب بتفتح رجليها إزاي..

منتهى اليأس.. تصعب على الكافر..

مش الضبع.

خالد: افتكرت قصة لهيمنجواي

اسمها «ثلوج كالمنجارو».. البطل

فيها رِجله مصابة بغرغرينا..

وفي ضبع بدأ يشم ريحة رِجله..

وبدأ يحوم حوالين البطل.

مريم: بس عشان بدأث أخاف..

إحنا معانا رِجل.. وكانت غرغرينا

برضه.

خالد: عشان إحنا في وضع الضبع

تقريبًا.

مريم: اتكلم عن نفسك يا كابتن..

أنا زرافة هبلة.. غيَّر الموضوع

لا أنزِّلك في الصحرا.

خالد: طيب هاحكيلك حكاية واحد

صاحبي في منتهى اللطف.

مريم: فيها كآبة؟

خالد: لأ.

t.me/qurssan

مريم: فيها سعادة؟

خالد: فيها.

مريم: قشطة.

خالد: بصي يا ستي.. صاحبي

ده بيشتغل صحفي في جورنال

جامد.. وهوه صحفي جامد..

قام في يوم لقى صباعه

بيوجعه جدًّا.. قام رايح للدكتور..

قام الدكتور الجرَّاح بعد الكشف

قال للصحفي.. أبشر يا فنان

الصباع ده جاهز للقطع.

مريم: يادي النيلة.

خالد: استني بس والله لطيفة..

قاله الصباع ده جاهز للقطع..

ومش هياخد مني مع التخدير

أكتر من خمس دقايق.. إنت

عندك صوابع كتير.. وصباع

واحد مش هيفرق.. ويسعدني

إني أعملك العملية الصُغيَّرة ديه..

وعندي كمان صوابع صناعية في

منتهى الجمال تقدر تاخد فكرة

t.me/qurssan

عنها بعد العملية.. صوابع

صناعية هايلة.. مش هتقدر

تقاوم لمَّا تشوفها.. هيه غالية..

بس الغالي تمنه فيه.. قام الصحفي

باصص لصباعه بحزن وقال..

لكن يا دكتور الصباع ده باستخدمه

كتير جدًّا.. يعني أنا دلوقتي مُلزم

بكتابة مقال أسبوعي للجورنال

إللي باشتغل فيه.. وده جورنال

كبير وما بيسمحش بأي تأخير..

قال الدكتور ولا يهمك كلمتين

منَّك ترجَع تخلي الجورنال

يسامحك.. ونادى الدكتور على

الممرضة عشان تحضَّر أوضة

العمليات.. قام الصحفي قال

يا دكتور آديك شايف إيدي إللي

فيها الصباع إللي هيتقطع

بتترعش.. قام الدكتور قايله..

طيب أحسنلَك تسيب

الجورنال.. إنت بتكتب مقال

أسبوعي زي العبيد.. ده نزيف

t.me/qurssan

محدِّش يستحمله.. في البيت

أخت الصحفي قالتله.. إنت

عايش عندي.. على الأقل كنت

تاخد رأيي.. دلوقتي إنت خالي

شغل ومش متجوز وقاعد في بيتي

وسمعت إن أصحاب العاهات بيتحولوا

بسرعة لكائنات شريرة.. نصيحة ما

تعتمدش عليَّ كتير.. قام أخونا الصحفي

قال لأخته بنرفزة.. اسمعي أنا لسه

عندي تسع صوابع.. ودخل أوضته

ورزع الباب وراه.. وفي لحظة شرود

مشى الصحفي برجليه على الحيطة

لحد ما وصل للسقف ومن هناك

شاف أرض الأوضة بعيدة.. وأخيرًا

خد القرار.. هيقعد هِنا على السقف

وهيقطع على نفسه أي طريق للنزول

زي ما الدكتور قطع صباعه.. وبعد

شوية حس بالسعادة.

مريم: وأكيد سعادة صاحبك الصحفي

حتة من سعادتك إنت شخصيًا.

خالد: طبعًا.

t.me/qurssan

٢٦

تقف العربة الشيروكي التي تُقل خالد ومريم في مكان صحراوي مُقفر به مدق صغير لمدفن حوله حديقة صغيرة بها شجرتان هزيلتان ونبتة تين شوكي في منتصف العمر. باب المدفن من الحديد، وعلى كتف الباب لوحة مكتوب عليها «مدفن آل عمران». تحاول الشيروكي أن تتقدم بقدر الإمكان في المدق لكنها تقف في منتصفه بسبب حجر رصيف كبير يعوق تقدم الشيروكي. تقول مريم لخالد وهي تبطل موتور العربة.

مريم: مش هينفع ندخل

أكتر من كده.

ينزل خالد من بابه ومريم من بابها وتدور إلى خالد المواجه للمدفن وتقول له وهي تميل عليه سريعًا قبل خروج أحد من المدفن.

مريم: خالد.. دقيقتين بس أفهِّم

عم جابر.

وكما توقعت مريم يخرج عم جابر في جلابية صعيدية قبل أن تُكمل كلماتها لخالد. يبدو على عم جابر أنه فوق الخمسين، بوجه محروق ومُحمص من تعرضه الطويل لشمس الصحراء. يفتح جابر الباب الحديدي الصدئ بينما تصل مريم إلى الباب. يقول جابر بوجه بشوش وابتسامة تراعي حُزمة المكان.

جابر: أهلًا يا أستاذة مريم.

مريم: إزيك يا عم جابر.

جابر: ماشي الحال يا أستاذة.

تأخذ مريم ذراع جابر وتقول له بينما خالد يقف عند العربة الشيروكي ينظر إلى مريم وجابر وهما يتحركان قليلًا إلى داخل

t.me/qurssan

المدفن.

مريم: عم جابر باقولّك...

بعد لحظات يتقدم جابر ناحية العربة الشيروكي وعلى وجهه أمارات الاهتمام والحزن، ويسلم على خالد بقوة ومسؤولية ويقول له وفي نفس الوقت يتجه إلى شنطة العربة الشيروكي.

جابر: اتفضل يا بيه.. لا حول

ولا قوة إلا بالله.

يحمل جابر المستطيل الخشبي لساق سعد الدين عمران الحقيقية بينما يسبقه خالد إلى الباب الحديدي للمدفن وهناك بعد الباب في مدخل المدفن تقف مريم. يتقدم جابر وهو يحمل الصندوق المستطيل وفي نفس الوقت يشير بيده لمريم وخالد بأن يتفضلا في داخل حجرته وينادي جابر على زوجته.

جابر: فرحة.

ينظر جابر إلى مريم وخالد ويقول معتذرًا من ركوب اسم الزوجة على شؤم حالة دفن ساق سعد الدين عمران.

جابر: لا مؤاخذة يا أستاذة..

اسم المدعوءة كده.

تبتسم مريم وهي تنظر إلى خالد ابتسامة أسى بينما تخرج فرحة من باب الغرفة وتفتحه أمام الضيوف فتقول مريم.

مريم: لا معلشي يا عم جابر

نستنّى هِنا.

يقول جابر لزوجته فرحة بينما يبتعد بالمستطيل الخشبي ليضعه بجوار عين القبر بينما تستجيب فرحة لكلام زوجها.

جابر: هاتي كرسيين واعملي

t.me/qurssan

شاي يا فرحة.

تأتي فرحة بكرسيين من الخشب وتضعهما تحت الشجرة الهزيلة، ثم تأتي بكرسي قرص من الخشب أيضًا أمامهما في فناء المدفن لحين تأتي بالشاي، بينما يأتي جابر بفأس وبضعة من قوالب وكَسْر الطوب الأحمر وقصعة أسمنت من وراء المدفن. تقول مريم لخالد بعد أن جلست بارتياح تحت الشجرة وجلس خالد أيضًا.

مريم: أوكيه.. طب إحنا سيبناك

تشمشم في حياتنا زي الضبع..

تفتكر عايدة الضمراني هترضى؟

خالد: موضوع الكتاب مش

كفاية؟

مريم: نعم.. موضوع الكتاب ده

تقوله في القسم.

خالد: على العموم أبوكِ إداني

عنوانها.

في أثناء حديث خالد ومريم تأتي فرحة زوجة جابر بصينية من المعدن عليها كوبان من الشاي وفرع نعناع، بينما يكون جابر على بُعد أمتار يعجن في القصعة شوية رمل وأسمنت ويخلطهما بالماء. لون الشاي الذهبي ونضارة فرع النعناع ولمعان زجاجة الماء التي كانت في الأصل زجاجة عصير مانجو، يفتح شهية خالد ومريم التي تقول لفرحة بابتسامة رضا.

مريم: شكرًا يا فرحة.

فرحة: الشكر لله يا أستاذة.

t.me/qurssan

خالد: قالك أنا وعود النعناع

الطازة وكوباية الشاي ومن

بعدي الطوفان.

يضع خالد نصف أوراق عود النعناع في كوب مريم ونصف الأوراق الآخر في كوبه، ويأخذ في تقليب الكوبين بملعقة صغيرة بينما يكسر جابر عين القبر بالفأس ثم يفتح صندوق ساق سعد الدين عمران الحقيقية ويبسمل ويحوقل وهو ينزل بها إلى عين القبر.

جابر: بسم الله.. ولا حول

ولا قوة إلا بالله.

t.me/qurssan

٢٧

خالد أمام بيت قديم من أربعة طوابق. يرتدي خالد بدلة عادية جدًا وهي لا تنتمي لأسلوب أناقته، ويبدو من البدلة أن خالد أراد التنكُّر في زي موظف بسيط. يصعد خالد البيت إلى الطابق الثالث الذي يحتوي على شقتين متقابلتين. يضغط خالد جرس الشقة التي يريدها. يأتي الصوت النسائي من داخل الشقة.

المرأة: مين؟

خالد: أيوا.

تفتح باب الشقة امرأة في الثلاثينيات من عمرها تحمل طفلًا على ذراعها. يبتسم خالد بأدب ولياقة في وجه المرأة ويقول لها بصوت معتدل.

خالد: مش ده بيت عايدة الضمراني؟

المرأة: لأ.. مفيش حد بالاسم ده.

خالد: إزاي أنا متأكد من العنوان.

المرأة: هوه حضرتك عاوز إيه؟

خالد: أنا موظف في السجل المدني..

ومُكلَّف من إدارة السجل بالتحقق من

بيانات الساكن في البيت ده.

المرأة: أنا ساكنة هِنا من تلات سنين..

يمكن حضرتك تقصد الساكن إللي

قبلي.

خالد: آه.. أنا آسف.. أكيد طبعًا

الساكن إللي قبل حضرتك.. لإن

t.me/qurssan

المعلومات إللي عندنا في السجل

بتقول إن الساكن ده اتولد هِنا في

البيت ده من حاجة وتلاتين سنة.

تقول المرأة وهي تشير بيدها إلى الشقة المُقابلة لشقتها وهي تستعدل وضع بنتها الصغيرة على صدرها وجانب جذعها، بينما يلتفت خالد مع إشارة المرأة.

المرأة: الشقة إللي زي ديه في

الدور التاني فيها أقدم واحدة

ساكنة في البيت.. ممكن حضرتك

تسألها.

خالد: شكرًا.. أنا آسف على الإزعاج.

تبتسم المرأة ثم تبتسم الطفلة الصغيرة، والابتسامتان تتجهان إلى خالد الذي يردهما بلطف إلا أنه يخص الطفلة بابتسامة زائدة. تُغلق المرأة باب الشقة، ويهبط خالد على السلالم من الطابق الثالث إلى الطابق الثاني، وعلى باب الشقة المُقابلة التي وصفتها له المرأة التي تحمل بنتًا، يضغط خالد على جرس الباب. بعد لحظات تفتح الباب امرأة في نهاية الخمسينيات من عمرها، لكنها ما زالت تحتفظ إلى حد كبير بجمالها، وهي ترتدي ملابس تعطي إحساسًا بأنها كانت على وشك الخروج من البيت، وفي نفس الوقت تستطيع بهذه الملابس المريحة البقاء في البيت لمدة طويلة. تنظر المرأة بهدوء إلى هيئة خالد المتواضعة بفضل البدلة العادية. يقول خالد بنفس الأدب الذي تحدث به مع امرأة الطابق الثالث.

خالد: أنا خالد السمري موظف

في السجل المدني.. وكنت عاوز

t.me/qurssan

أسأل حضرتك عن واحدة كانت

ساكنة هِنا اسمها عايدة الضمراني.

امرأة الطابق الثاني: وإيه علاقتي أنا؟

خالد: عرفت من جارة لكِ في

الدور التالت إن حضرتك في

البيت ده من فترة.. وممكن تبقي

عارفة عايدة الضمراني إللي كانت

ساكنة هِنا لغاية تلات سنين فاتوا.

تنظر المرأة إلى خالد نظرة فاحصة وتفسح له فرجة الباب وتدعوه للدخول، بينما خالد يلحظ تغير ملامح امرأة الطابق الثاني بعد سماعها اسم عايدة الضمراني.

امرأة الطابق الثاني: اتفضل مش هينفع

الكلام على الباب.

يدخل خالد شقة امرأة الطابق الثاني، وهي شقة بسيطة أنيقة يغلب على أثاثها طابع الستينيات. تغلق امرأة الطابق الثاني باب الشقة وتدعو خالد للجلوس في صالون صغير في الصالة. يجلس خالد على كرسي، وتجلس أمامه امرأة الطابق الثاني التي تقول لخالد بابتسامة عارفة.

امرأة الطابق الثاني: سيبك بقى من حكاية السجل

المدني.. وقُلّي.. إنت كنت تعرف عايدة

الضمراني؟

يرد خالد الابتسامة لامرأة الطابق الثاني ويقول بمزيج من التواطؤ والارتباك وهو يخرج من جيبه ورقة مطوية.

t.me/qurssan

خالد: إزاي أسيبني يا افندم من

حكاية السجل.. وأنا معايا أمر

تكليف مباشر من المدير بتاعي؟!

يمد خالد بيده الورقة المطوية إلى امرأة الطابق الثاني التي تأخذ منه الورقة وتفتحها وتقرأ ما فيها بصوت مسموع هادئ وبنبرة تحمل الشك لكنها لا تحمل الانزعاج.

امرأة الطابق الثاني: بصفتي مدير السجل المدني

أحيط الجميع علمًا بأن هذا التكليف المكتوب مُوقَّع

بيدي وخطي.. وأن خالد السمري الذي يعمل موظفًا

تحت إمرتي.. مُكلَّف بالأمر المباشر بالتحري

والتقصي عن كل ما له علاقة بحياة عايدة الضمراني

الماضية والحاضرة.. ويتوجَّب بالتالي أن يُغتَرف

لخالد السمري دون إثباتات أخرى.. وخلال الوقت

الذي يستغرقه التحقيق.. بالصلاحيات المطلقة التي

أفوضها لشخصه.

تُرجع امرأة الطابق الثاني جواب أو ورقة التكليف بعد طيها إلى خالد الذي يأخذها منها ويضعها في جيب بدلته الداخلي، بينما تُغمض امرأة الطابق الثاني عينيها لحظة وهي ترفع خصلة من شعرها إلى الوراء وتقول بنفس نبرة الشك الهادئة لكن غير المنزعجة إحدى مقولات جواب التفويض ثم تأتي بكلماتها هي.

امرأة الطابق الثاني: «دون إثباتات أخرى»..

يعني ما اقدرش أقولّك وريني بطاقتك

الشخصية؟

t.me/qurssan

خالد: لأ.

امرأة الطابق الثاني: وأنا مش هاقولّك.

خالد: أوكيه.

امرأة الطابق الثاني: ما جاوبتش على نص

سؤالي التاني.

خالد: إنتِ إللي المفروض تجاوبي على

أسئلتي.

امرأة الطابق الثاني: وعشان أجاوبك لازم

أتأكد الأول.

خالد: ما أنا وريتك تفويض السجل.

امرأة الطابق الثاني: لأ.. أتأكد من حاجة تانية.

خالد: إللي هيه؟

امرأة الطابق الثاني: كنت تعرف عايدة الضمراني؟

خالد: لأ.

امرأة الطابق الثاني: ولا بطريق غير مباشر؟

خالد: هيه حد مشهور للدرجة ديه؟

امرأة الطابق الثاني: لأ.. خالص.. بس تكون

شوفت اسمها في حتة.

خالد: هاشوف اسمها فين؟

امرأة الطابق الثاني: إنت ناسي إنك شغّال

في السجل المدني؟

t.me/qurssan

خالد: أنا في الشغل باشوف أسامي كتيرة.

امرأة الطابق الثاني: بس لو اسم شوفته

في مكان بره الشغل.. واتكرر قدّامك

بعد كده.. أكيد هتفتكره.

خالد: إنتِ مين؟

امرأة الطابق الثاني: إنتَ إللي مين؟

خالد: طيب.. أنا مش موظف في السجل

المدني.

امرأة الطابق الثاني: كنت حاسة.

تبتسم امرأة الطابق الثاني ابتسامة المنتصر الهادئ الذي تمنعه أخلاقه من الشماتة في المهزوم، وتقول بدلع أنثوي ما زال قويًّا رغم عمرها، بينما خالد في سكرة هزيمة واستسلام.

امرأة الطابق الثاني: أنا كنت هاعمل نسكافيه

قبل ما تخبَّط.. تشرب معايا فنجان؟

خالد: ماشي.

امرأة الطابق الثاني: ممكن تقف معايا

لو عاوز.

إشارة امرأة الطابق الثاني تعني أن خالد يستطيع الوقوف معها وهي تصنع النسكافيه في المطبخ. تعبر امرأة الطابق الثاني الممر الصغير المؤدي إلى المطبخ ويمشي معها خالد في مسافة تختلط بين أنه وراءها وبجانبها في نفس الوقت، تقول امرأة الطابق الثاني وهي تلتفت إلى خالد الذي هو وراءها وبجانبها في نفس الوقت.

t.me/qurssan

امرأة الطابق الثاني: يعني زي ما خمَّنت

المسألة عاطفية.

تصل امرأة الطابق الثاني إلى المطبخ الذي تدخل إليه بينما يقف خالد على الباب، وتبدأ امرأة الطابق الثاني في صنع النسكافيه، وهي تتحدث مع خالد الذي يقول ردًّا على سؤالها.

خالد: لأ مش عاطفية خالص..

الحكاية إني شوفت اسمها مرة

في بطاقة استعارة.

امرأة الطابق الثاني: استعارة إيه؟

خالد: كتاب.

امرأة الطابق الثاني: بس كده؟!

خالد: بس.

امرأة الطابق الثاني: ومين إللي قالَّك

على عنوانها القديم؟

خالد: واحد تاني من إللي استعاروا

نفس الكتاب.

تضحك امرأة الطابق الثاني وتقترب وفي يدها برطمان النسكافيه من خالد لتقول له الكلمات بتأكيد أكثر ثم تعود لعمل النسكافيه.

امرأة الطابق الثاني: آه.. ده انت مجنون.

يبتسم خالد بسخرية ويعوج فمه، والابتسامة مفادها أن اتهام الجنون لا يعنيه وفي نفس الوقت لا ينفيه عن نفسه.

تقول امرأة الطابق الثاني لخالد.

t.me/qurssan

امرأة الطابق الثاني: وكان يعرفها؟

خالد: أيوا.

امرأة الطابق الثاني: وهوه إللي قالّك

تعمل نفسك موظف في السجل المدني؟

خالد: لأ.. مش بالظبط.. هوه قالّي

عايدة مش تقليدية.. ولازم ليها حكاية

عشان تتكلم.

امرأة الطابق الثاني: تتكلم عن إيه؟

خالد: ما اعرفش بالتحديد.. يمكن

كلام شبه إللي بنقوله دلوقتي.

امرأة الطابق الثاني: والكلام إللي

بنقوله دلوقتي ممكن يسعدك؟

خالد: ممكن.

امرأة الطابق الثاني: يضايقك لو

قُلتلك إني سعيدة بالكلام معاك.

خالد: لأ.

تصمت امرأة الطابق الثاني وخالد صمت سعادة وطمأنينة، وفي وسط هذا الهدوء الناعم تُكمل امرأة الطابق الثاني عمل النسكافيه فتعطي خالد المج الخاص به ويخرجان من المطبخ وسط نعيم الصمت. يمشيان في الممر عائدين إلى جلستهما الأولى. تمشي امرأة الطابق الثاني في مسافة تختلط بين أنها وراءه وبجانبه في نفس الوقت، عكس الانطلاقة الأولى. تقول امرأة الطابق الثاني لخالد بعد الصمت الهانئ بينهما، وكأنها تناجي

t.me/qurssan

نفسها، وهما يجلسان في الصالون.

امرأة الطابق الثاني: بعد جوزي ما مات

بفترة عملت علاقة مع والد عايدة.

تأخذ امرأة الطابق الثاني من رف النيش وراءها علبة بسكويت من الصاج وتضعها أمام خالد الذي يُخرج علبة سجائره ويُقدِّم واحدة لامرأة الطابق الثاني ويشعلها لها ثم يُشعل سيجارته ويقول.

خالد: وعايدة كانت عارفة؟

امرأة الطابق الثاني: عرفت بعدين.

خالد: قعدتوا كتير في العلاقة؟

امرأة الطابق الثاني: سنة.

خالد: وهوه ده إللي خلاهم سابوا

البيت؟

امرأة الطابق الثاني: أيوا.

خالد: ووالدة عايدة عرفت؟

امرأة الطابق الثاني: ما اعرفش.. بس أكيد

عرفت.. عشان ما اتصلتش بيّ ولا مرة من

ساعة ما مشيوا.

خالد: وعايدة؟

امرأة الطابق الثاني: ساعات بتتكلم..

بس مش كتير.. كل فترة.

خالد: بتسأل عليكِ يعني؟

75 دقيقة مسقطة من سيرة الزمن
t.me/qurssan

امرأة الطابق الثاني: مش قوي كده..

غالبًا بتقولِّي أخبارها.

خالد: وإنتِ ما بتسأليش عليها؟

امرأة الطابق الثاني: برضه مش قوي كده.

خالد: فتور؟

امرأة الطابق الثاني: العادي.

خالد: إيه مثلًا آخر أخبارها؟

امرأة الطابق الثاني: انفصلت عن خطيبها.

خالد: هيه إللي سابته؟

امرأة الطابق الثاني: هيه بتقول هيه..

وهوه بيقول هوه.

يبتسم خالد وتضحك امرأة الطابق الثاني وهي تفتح علبة البسكويت وتشجع خالد بالإشارة إلى واحدة، وهي تأخذ واحدة، ثم يقول خالد وهي تضع السيجارة في طفَّاية السجائر على الترابيزة.

خالد: شوفتيه؟

امرأة الطابق الثاني: مرة.

خالد: اسمه إيه؟

امرأة الطابق الثاني: قطة العدوي.

خالد: اسمه غريب.

امرأة الطابق الثاني: وهوه أغرب.

خالد: وعايدة؟

t.me/qurssan

امرأة الطابق الثاني: أغرب وأغرب.

خالد: يعني كانوا مناسبين لبعض.

امرأة الطابق الثاني: زي الشمسية

ومَكَنة الخياطة.

خالد: آه.. لقاء السحاب.

يضحك خالد وتضحك امرأة الطابق الثاني. يأخذ خالد بسكوتة ويُطفئ سيجارته في الطفَّاية بينما تأخذ امرأة الطابق الثاني رشفة من النسكافيه وتأخذ أيضًا سيجارتها من على طرف الطفَّاية وتقول لخالد.

امرأة الطابق الثاني: اسمع يا خالد.. أنا

هادِّيك عنوان عايدة وتلفونها لو عاوز

وصورتين فوتوغرافيا ليها وهيه صُغيَّرة..

بس كل ده مش هيوصلك للي إنتَ

عاوزه.. سيبني أرتِّبلك لقاء معاها..

لقاء السحاب.. شمسية ومَكَنة خياطة.

خالد: يا شريرة.. أنا كمان؟

امرأة الطابق الثاني: تقدر تتنكر بالسجل

المدني والبدلة الفقرانة إللي جايلي

بيها.. بالمناسبة إنتَ اسمك الحقيقي

خالد السمري؟

خالد: خالد عبد الحليم.

امرأة الطابق الثاني: وما غيرتش

t.me/qurssan

خالد ليه؟

خالد: كسلت.

تبتسم امرأة الطابق الثاني وتصمت قليلًا ثم تقول بينما تبدو على خالد الراحة في الحديث وهو يقضم طرطوفة البسكوتة.

امرأة الطابق الثاني: خالد.. إنت يفرق

معاك لو ما عرفتش أدبرلك لقاء

السحاب مع عايدة الضمراني؟

خالد: لأ.. خالص.. بس إنتِ وعدتيني

لسه حالًا إنك هتديني عنوانها وتلفونها

والأهم الصورتين الفوتوغرافيا.

امرأة الطابق الثاني: ده إللي يفرق معاك

أكتر؟

خالد: أيوا.

امرأة الطابق الثاني: ليه؟

خالد: عشان عندي كارت الاستعارة

إللي ماضية عليه عايدة من اتناشر

سنة.. على الأقل هاحط العنوان

والصورتين ورقم التلفون مع الكارت.

امرأة الطابق الثاني: حاجة ليها علاقة

بالزمن.

خالد: أيوا.

t.me/qurssan

امرأة الطابق الثاني: إنتَ بتشتغل إيه

يا خالد؟

خالد: ينفع أهرب من السؤال؟

امرأة الطابق الثاني: لو بجد عاوز

تهرب.. يبقى ينفع.

خالد: مش قوي.

امرأة الطابق الثاني: خلاص جاوب.

خالد: المفروض إني كاتب.

امرأة الطابق الثاني: يعني كاتب.

خالد: يعني.

امرأة الطابق الثاني: فاشل طبعًا؟

خالد: طبعًا.. أنا ليَّ تمن قراء.. منهم

ستة أعرفهم معرفة شخصية..

مجروحين يعني.

امرأة الطابق الثاني: والاتنين الباقيين خايف

تدوَّر عليهم تطلع تعرفهم من بعيد.

خالد: تمام.

امرأة الطابق الثاني: وحلمك إن عايدة

الضمراني تطلع التاسعة؟

خالد: يا ريت.

امرأة الطابق الثاني: ولو ما طلعتش يبقى

t.me/qurssan

مش فارق معاك وكفاية كارت الاستعارة

وصورتين الفوتوغرافيا.

خالد: تقريبًا.

امرأة الطابق الثاني: إنت بتكتب حاجة

دلوقتي؟

خالد: باحضِّر لحاجة.

امرأة الطابق الثاني: بتقعد كتير في

التحضير؟

خالد: سنين.

امرأة الطابق الثاني: مستني الوقت المناسب؟

خالد: طول الوقت.. الوقت مش مناسب.

امرأة الطابق الثاني: مفيش وقت بتحس فيه

إنك وحيد؟

خالد: طول الوقت.

امرأة الطابق الثاني: وبتعمل إيه؟

خالد: ولا حاجة.

امرأة الطابق الثاني: طيب.. أنا الوحدة

بتقتلني.. فيا أستاذ خالد يا عبد الحليم

لو حسيت إنك عاوز تكلمني أو تزورني

في أي وقت.. مناسب أو غير مناسب..

أرجوك ما تترددش.

t.me/qurssan

خالد: مرسيه.. بالمناسبة إنتِ اسمك

إيه؟

امرأة الطابق الثاني: عايدة.

خالد: عايدة!

امرأة الطابق الثاني: مُفاجأة.. مامت عايدة

الضمراني كانت صاحبتي قوي.. فسمت

بنتها على اسمي.

خالد: إنتِ الأصل يعني.

امرأة الطابق الثاني: ويمكن إنت بتدوَّر

على الأصل.. مش الصورة.

خالد: جايز.

تبتسم عايدة امرأة الطابق الثاني بأنوثة وهي تقوم من جلستها وتقول لخالد الذي يشعر بعذوبة فاترة من حديثه مع امرأة الطابق الثاني التي تحمل اسم عايدة.

امرأة الطابق الثاني: هاجيبلك عنوانها

وتلفونها والصورتين الفوتوغرافيا.. ثانية

واحدة.

t.me/qurssan

في غرفة الاجتماعات، أو بالأحرى غرفة الترابيزة، تجلس كريمة الشوربجي عند أحد رأسيها، بشعرها المقصوص المُبَالَغ في قصره، والشظية اللامعة على طاقة أنفها من الخارج، وباشمينتها الأنيقة على رقبتها، وسحر الروج بلونه الهادئ على شفتيها. من الباب المقابل في الغرفة، يدخل الرجل العجوز والمرأة العجوز من الفتحة التي تسمح بها حافة الترابيزة، إذ لا ينفتح الباب على مداه في غرفة الاجتماعات. ببطء وبجانب جسديهما الضامرين يدخلان. تغلق المرأة العجوز فتحة الباب الصغيرة وراءها وهي تحمل في يدها فنجان قهوة تحرص كثيرًا على وجهه، وهي تضعه في البداية على الترابيزة في مكان مناسب لجلستها المستقبلية، ويحمل الرجل العجوز بلوك نوت صغيرًا. يجلس العجوزان على الكرسيين ويكون دورانهما شديد الضيق بسبب قرب رأس الترابيزة من الحائط والباب. يدخل العجوزان بالكرسيين كثيرًا بعد جلوسهما على حافة الترابيزة، بحيث ينخسف صدراهما في حافة الترابيزة. تقول المرأة العجوز بتأكيد يشوبه استفهام واحتمال الخطأ، وهي تبتسم وتشير بإصبعها المِعَوَّجة المِعَقلة إلى كريمة.

المرأة العجوز: مديحة الشوربجي؟

تبتسم كريمة، وقبل أن تصحح للمرأة العجوز اسمها، ينظر الرجل العجوز إلى المرأة العجوز بيأس وقرف ويقول لها.

الرجل العجوز: كريمة الشوربجي.

تتصنع المرأة العجوز الخجل من خرفها وهي تمسك بحرص بأطراف أصابعها ودن فنجان القهوة بينما يبتسم الرجل العجوز لكريمة ويستأنف كلماته.

الرجل العجوز: أيوا يا كريمة.

كريمة: أنا آسفة إني طلبت مُقابلة

t.me/qurssan

بعد أول مُهمة.

الرجل العجوز: أي حد بيشتغل معانا

ممكن يقابلنا من غير اعتذار.

كريمة: مرسيه.. أنا سلمت مجدي

الدمنهوري الشنطة وهيه على رقم

٢٢٢.. بس دردشنا شوية...

تقاطع المرأة العجوز كريمة الشوربجي وتقول بحدة وهي تنظر إلى الرجل العجوز وكأن هذا القول الحاد سيحرجه.

المرأة العجوز: الدردشة مش ممنوعة؟

كريمة: دردشنا في حاجات ليها علاقة

بالمؤسسة.

الرجل العجوز: بس هيه مش مؤسسة.

كريمة: الهيئة أو التنظيم.

الرجل العجوز: المهم.. دردشتوا في

ده بس؟

كريمة: لأ.. جت سيرة قطة العدوي.

الرجل العجوز: مين فتح موضوع قطة؟

كريمة: هوه.

المرأة العجوز: هوه مين؟

كريمة: مجدي الدمنهوري.

الرجل العجوز: قطة العدوي غِلط..

t.me/qurssan

واتحمل نتيجة غلطه.. قضية قطة

دلوقتي المسؤول عنها ناس تانية..

بس الكلام في الموضوع ده برضه

مش ممنوع.

كريمة: الصراحة أنا ما ارتحتش

لطريقة كلام مجدي.

الرجل العجوز: والمطلوب؟

كريمة: إني أراقبه.. مش ده

من حقي؟

الرجل العجوز: من حقك طبعًا.

كريمة: وتقرير المراقبة؟

الرجل العجوز: تقدري تجيبهولي

هِنا.

المرأة العجوز: لأ.. هاتيهولي أنا.

تبتسم المرأة العجوز لكريمة وتقول وهي تشير إلى الباشمينا على رقبة كريمة بينما ينظر إليها الرجل العجوز نفس نظرة اليأس.

المرأة العجوز: حلوة قوي الباشمينا.

كريمة: اتفضلي.

المرأة العجوز: ينفع.

كريمة: آه.. قوي.

تحاول كريمة الشوربجي القيام من على الكرسي إلا أن المساحة التي يذهب فيها إلى الوراء ضيقة جدًا، وبعد محاولة ثانية

t.me/qurssan

تستطيع كريمة الخروج من جانب الكرسي، لكنها تقف مرتبكة لا تعرف كيف تصل إلى المرأة العجوز التي تشير إلى الممر الرفيع بين الحائط والترابيزة وهو نفس الممر الذي سار فيه مجدي الدمنهوري.

t.me/qurssan

فـي غرفـة المكتـب يجلـس زاهـر المحـامي إلـى المكتـب الكبـير القديم، ويجلس أمامه قطة العدوي، بينما تدخل نسرين غرفة المكتـب وهـي تحمـل صـينية معـدنية عليـها علبتـان من الدواء وكوبـان مـن المـاء وفنجـانان مـن القـهوة. غرفـة المكتـب قاتمة الضوء على الرغم من بصيص نهاية النهار الآتي من وراء ستارة نصف مقفولة، ومن وراء نافذة نصف مفتوحة، وهناك أيضًا ضوء بجوار زاهر المحامي، لكنه هذه المرة ينبعث من أباجورة طويلة قائمة خلفه تقريبًا بشابوه كلاسيك واسع الدائرة. لا ينجح ضوء النهار، ولا ضوء الأباجورة في التخفيف من قتامة غرفة المكتب المحصَّنة بكتب مصفوفة على الجدران، بل يمتزج الضوءان معًا وينتجان خليطًا من المرض والضعف والرجعية، والأخيرة هذه ترجع إلى تصميم الغرفة وحجم المكتب الهائل. على الجدار، وراء زاهـر المحـامي، برواز ضخم كلاسيك يضم صورة فوتوغرافية للرجل العجوز والمرأة العجوز صاحبي غرفة الاجتماعات. الصورة الفوتوغرافية بالأبيض والأسود، وتحمل عيون العجوزين نظرة هادئة في عين عدسة التصوير، ونصف ابتسامة، إلا أن اجتماعهما فـي بـرواز واحـد، والحـد الفاصـل فـي السيلولويد فـي أثنـاء التحمـيض يعطـي انطباعًا غـامضًا بـأن نظـرة كـل منـهما كـانت لعدستي تصوير. تدور نسرين من وراء المكتب، وتضع الصينية فـي مكـان مـا علـى سـطح المكتـب وسـط الأوراق والدوسيهات والكتب، وهي ترمق قطة بنظرة وابتسامة جانبية. يجلس زاهر المحـامي علـى كرسـي المكتـب بروب شتوي ثقيـل تحتـه منامة، وفوق رأسه طاقيـة من الصوف مُزاحة إلى الوراء. يقول زاهر المحامي بإعياء لقطة العدوي.

زاهر: أنا اتفقت مع خالك حفظي

إنك تقعد عندي يومين لغاية ما

أخلّص مُذكِّرة الدفاع الأولى.

t.me/qurssan

قطة: بس أنا عندي شغل.

زاهر: خالك قالّي إنك واخد

أجازة من الشغل.. وطبعًا إنت

واخد الأجازة عشان قضيتك.

قطة: وقضيتك إنت كمان.

يضحك زاهر المحامي بضعف مصطنع، بينما تُخرج نسرين من علبة دواء حبتين وتعطيهما للمحامي في يده ثم تعطيه كوب الماء. يقول زاهر المحامي لقطة العدوي الذي ينظر إلى الصورة الفوتوغرافية التي تضم العجوزين وراء زاهر المحامي.

زاهر: أنا مُعترف والله إنها

أكبر قضية جاتلي.. وهيه

تحدي كبير لاسمي وسُمعتي..

عشان كده عاوزك معايا في

اليومين إللي هاكتب فيهم

مُذكِّرة الدفاع الأولى.. لازم

تعرف إن المُذكِّرة الأولى

مهمة جدًا.. وأحيانًا بيتوقَّف

عليها مسار القضية كله.. لكن

مع الأسف في أحيان تانية

لا تُقرأ مُذكِّرات الدفاع الأولى..

وحُجة المحكمة القوية والبسيطة

في نفس الوقت.. هي انتظار باقي

t.me/qurssan

ملفات القضية.. وساعتها يتقال

الرأي القوي برضه.. إن استجواب

المتهم ومراقبته أهم كتير من مُذكِّرة

الدفاع الأولى أو الأخيرة.

تقدم نسرين فنجان القهوة إلى قطة العدوي وتخرج من وراء زاهر المحامي وتقف وراء كرسي قطة وتضع يدها على كتفه. يأخذ قطة من نسرين فنجان القهوة ثم يمسك يدها بأطراف أصابعه دون النظر إليها، بينما يُكمل زاهر المحامي حديثه وهو يرتشف القهوة.

زاهر: إللي طول الوقت بيتقال في

المحكمة إن الملفات والمُذكِّرات

بتدرس بعناية عشان تخرج منها

المحكمة بقوام قانوني مُتماسك..

لكن في الغالب إللي بيحصل فعلًا

من واقع خبرتي في النوع ده من

القضايا هوه تَوَهَان المُذكِّرة الأولى

وضياعها.. وحتى لو ما ضاعتش

ممكن ما تلاقيش حد يقراها.

قطة: يعني الاستجواب والمراقبة

أهم من ده كله؟

زاهر: مش في كل الحالات.

قطة: قصدي حالتي.

t.me/qurssan

زاهر: زي ما قُلتلك قضيتك

صعبة.. في حالات تستدعي

الاستجواب.. وفي حالات تستدعي

المراقبة.. يا إما استجواب.. يا إما

مراقبة.

قطة: وأنا أنهي حالة فيهم؟

زاهر: لسه ما يبانش دلوقتي..

خلينا نركز في مُذكِّرة الدفاع

الأولى.. وبعدين نشوف..

أنا الخطوط العريضة للمُذكِّرة

بدأت تتكون في دماغي.. طبعًا

هاحتاج منَّك شوية معلومات..

عشان كده محتاجك جنبي.

قطة: معلومات زي إيه؟

زاهر: هاقولَّك ساعتها.

ينظر زاهر المحامي إلى نسرين ويقول لها مُتجاهلًا مُداعبة قطة العدوي ليدها منذ نصف حديثه الهام الفارغ.

زاهر: وري الأستاذ قطة أوضته.

يقول قطة العدوي بفضول مُتعالٍ، وكأن فضوله إذا قُوبل بالرفض لن يؤثر فيه، أو كأنه فضول ما إن يبدأ حتى يُصاب صاحبه بالزهد والإعياء، وهو يقوم من جلسته ويشير بوجهه وراء زاهر المحامي، والإشارة بها أيضًا قذر من الاستهانة، بينما ترفع نسرين يدها عن كتفه وهو ينظر نظرة أخيرة إلى صورة العجوزين خلفه

t.me/qurssan

زاهر المحامي.

قطة: مين إللي في الصورة دول؟

يبتسم زاهر المحامي ابتسامة يأس وهو يعيد تقديم الطاقية على جبهته ثم يُرجعها للخلف مرة ثانية، ويلتفت نصف التفاتة إلى أعلى، لا تصل إلى صورة العجوزين، وكأنه يرد إلى قطة الفضول المتعالي والاستهانة. يقول زاهر المحامي بسخرية باردة هادئة.

زاهر: الحقيقة لمَّا خالك المخلص

اشتكى من إنك ما بتفكرش في

قضيتك بالقدر اللازم.. قُلتله

ما تبالغش يا أستاذ حفظي.. في

حد مش هيهتم بمصيره ومستقبله..

دلوقتي بس عرفت كان يقصد إيه..

على فكرة كل ده تأثيره سلبي جدًّا

على مذكِّرة الدفاع الأولى.. إللي

المفروض إنك تفكر فيها.. تبقى

غلطان لو كنت فاكر إن المحامي

بتاعك هيعمل كل حاجة.. عاوز

أقولّك من واقع خبرتي.. ومن قضايا

كبيرة زي قضيتك.. إن مذكِّرة الدفاع

الأولى هي في واقع الأمر اعتراف

ضمني من المتهم بصحيفة اتهامه..

t.me/qurssan

تصبح على خير يا أستاذ قطة.

تبتسم نسرين بعينين واسعتين إلى زاهر المحامي من وراء كتفها وكأنها تتشفَّى في قطة العدوي الذي يواجه كلمات زاهر المحامي الأخيرة بتراجع وإحباط صامت وهو يتجه إلى باب الغرفة ووراءه نسرين، بينما تبقى صورة العجوزين غامضة دون إجابة.

t.me/qurssan

٣٠

في صباح رائق وشمس لطيفة شتوية تسير عايدة الضمراني في الشارع بشكل آمن ومسالم بجوار الرصيف. تحمل عايدة الضمراني شنطة منتفخة هي خليط عملي من حقيبة اليد وأغراض أخرى. شعر عايدة ملموم إلى الوراء بمحبس غير ظاهر، وترتدي جاكيت من القطن يصلح للنساء والرجال، وبنطلونًا من الجينز. عموم هيئة عايدة الضمراني هي هيئة هيبية محافظة خرجت للتو من ألبومات السبعينيات. نظَّارة الشمس السوداء الكبيرة تلتهم وجهها. تقترب عايدة من المكتبة العامة. تصعد درجات السلم القليلة. باب المكتبة نصف مفتوح، وداخل المكتبة معتم قليلًا. تُزيح عايدة الباب للدخول بلطف وهدوء وكأنها تنتظر أن يظهر لها أحد. بجوار باب المكتبة من الداخل كاونتر عليه دفتر كبير لتسجيل اسم القارئ أو المستعير. بقلم مشبوك في سلسلة، والسلسلة مثبَّتة في الكاونتر من الداخل، تبدأ عايدة في كتابة البيانات، وهي تخلع نظَّارتها السوداء فيبدو وجهها المُجهد الحزين وملامحها التي تقول إنها في نهاية الثلاثينيات من عمرها، لكن من الممكن أن تُعطى أكبر من سنها بسبب الإجهاد الحاد على وجهها وشحوب بشرتها، أمَّا عن صورتها الفوتوغرافية في محفظة خطيبها السابق قطة العدوي، فهي مُقارَنةً بصورتها لحظة دخولها المكتبة، تبدو الفجوة بين الصورتين أكثر من عشرين سنة، مع أن الفارق بين الصورتين سبع عشرة سنة. من عمق المكتبة تقوم من على المكتب المزدحم بأكوام كتب، أمينة المكتبة، وهي سيدة في الخمسينيات من عمرها تبدو عليها ملامح البيروقراطية، بشعر خشن بذلت معه أمينة المكتبة مجهودًا ليبدو غير مجعد غير أكْرت عند منابته في فروة رأسها. تقول أمينة المكتبة بلهجة حيادية باردة وهي تدخل في الناحية المُقابلة لعايدة الضمراني، يفصلهما الكاونتر، بينما تنظر إليها عايدة وهي تكاد تنتهي من كتابة البيانات.

أمينة المكتبة: صباح الخير.

t.me/qurssan

عايدة: صباح الخير يا مدام هدى.

تُفاجأ مدام هدى بمعرفة عايدة باسمها، فتنظر إليها بتمعن حتى تتذكر الوجه إلا أن نظَّارة الشمس تأكل كثيرًا من وجه عايدة التي تخلع النظَّارة تحت إلحاح نظرة مدام هدى التي تبتسم هي الأخرى وكأنها تذكَّرت الوجه فقط.

هدى: أهلًا أهلًا.

عايدة: مش فاكراني؟

هدى: طبعًا فاكراكِ..

بس الاسم أنا آسفة.

عايدة: عايدة الضمراني.

هدى: إنتِ بقالك

سنين ما جيتيش المكتبة..

قطعتِ فجأة.

عايدة: من خمستاشر سنة.

هدى: حمد الله على السلامة.

عايدة: الله يسلمك.

هدى: عاوزة حاجة مُعيَّنة

ولَّا قراية حرة؟

عايدة: الأول عاوزة أجدد

كارنيه الاستعارة.

تقول مدام هدى بدهشة وابتسامة وهي تستعيد وضع دفتر البيانات إلى الداخل بعد أن قلبته عايدة ناحيتها من الخارج حتى تستطيع الكتابة.

t.me/qurssan

هدى: معقولة لسه معاكِ الكارنيه

القديم؟

تفتح عايدة الضمراني حقيبتها وتغرق بيدها في متاهة محتوياتها وهي تقول بابتسامة واهتمام وكأنَّ إهانة إهمال وُجِّهت إليها.

عايدة: أيوا معايا.

تُخرج مدام هدى من وراء الكاونتر استمارة استعارة وتقدمها لعايدة الضمراني وتأخذ منها الكارنيه القديم وتقول لها وهي تنظر إلى صورتها الفوتوغرافية في الكارنيه القديم.

هدى: معاكِ صورة جديدة؟

تقول عايدة بخيبة أمل وخوف طفيف وكأنها لا تريد الاعتراف بمرور الزمن إلا أن الخوف له على ملامح عايدة دلالات أخرى غامضة لا تتعلق بمرور الزمن. تقول عايدة وهي تشير إلى جهة الصورة الفوتوغرافية في الكارنيه المقلوب في يد مدام هدى.

عايدة: ما تنفعش ديه؟

هدى: هيه قديمة شوية.

عايدة: شكلي اتغيَّر؟

هدى: لا أبدًا.. بس لو

جديدة يكون أحسن.

تتعلل مدام هدى بدبوس الدبَّاسة المغروس في أعلى الصورة الفوتوغرافية وتقول وهي تعرض على عايدة الصورة.

هدى: بصي الدبوس هيقطع

الصورة لو شلتها.

t.me/qurssan

تجد عايدة صورة فوتوغرافية حديثة العهد في محفظة نقودها وتقدمها لمدام هدى التي تأخذ منها الصورة.

عايدة: لقيت واحدة.

هدى: أوكيه.. كده ممكن تاخدي

الكارنيه الجديد بكره.. ما قُلتليش

عاوزة دلوقتي تقري في كتاب معين؟

عايدة: أيوا.. هابص على كتاب

«خسوف كلي».

هدى: آه.. الكتاب موجود منه

نسختين في رف تمانية.

تخرج مدام هدى من وراء الكاونتر بعد أن تضع متعلقات الاستعارة على رف داخلي وتتقدم عايدة إلى داخل المكتبة. وعند رف مزدحم بالكتب يصل من الأرض إلى السقف ويمتد على طول الحائط، تبحث سريعًا مدام هدى عن الكتاب المطلوب ثم تُخرجه من منتصف الرف وهي تقول.

هدى: أهوه.

تأخذ عايدة الضمراني من يد مدام هدى الكتاب بتردد وكأنها مريض نفسي يعاني من فقدان الشهية وفي تحديه القوي ووعده للطبيب بالطعام وإذا بالطبيب يضعه مُباشرة أمام الطعام، فإذا بالمريض يشعر بالضعف أمام تحديه.

تقلب عايدة في الكتاب ثم تقول بارتياح.

عايدة: مش ده.. أنا قصدي طبعته

القديمة إللي استعرتها من سنين..

يمكن النسخة التانية؟

t.me/qurssan

هدى: النسخة التانية نفس الطبعة

الجديدة.. طبعة الكتاب القديمة

للأسف خرجت في استعارة من

شهر وما رجعتش تاني.

عايدة: إزاي؟

هدى: حوادث زي ديه

ما بتحصلش كتير.. بس أحيانًا

بتحصل.. حد يستعير الكتاب

وما يرجِّعوش.

عايدة: والمكتبة بتعمل إيه؟

هدى: ولا حاجة.. بس إللي

عمل كده ما بيدخلش هنا تاني.

عايدة: يعني إنتِ عارفة إللي

خد الكتاب؟

هدى: أيوا.

عايدة: مين؟

هدى: واحدة اسمها كريمة

الشوربجي.

تسير مدام هدى مع عايدة الضمراني التي تحمل كتاب «خسوف كلي» إلى ترابيزة مستطيلة للقراءة في منتصف الغرفة. تضع عايدة حقيبتها على الترابيزة وهي تقول لمدام هدى.

t.me/qurssan

عايدة: ممكن أعرف عنوانها؟

هدى: ممكن.. بس ليه؟

عايدة: الحقيقة أنا رجعت

للمكتبة عشان أستعير الكتاب

إللي استعرته من سبعتاشر

سنة.

هدى: ما الكتاب قدّامك أهوه.

عايدة: أقصد النسخة القديمة.

هدى: إنتِ يهمك الكتاب ولّا

النسخة؟

عايدة: يهمني الكتاب إللي

قريت فيه من سبعتاشر سنة.

هدى: يعني إنتِ لو شوفتي

نسختين من الطبعة القديمة

هتقدري تفتكري أنهي

إللي قَريتِ فيها؟

عايدة: متهيألي هاقدر أعرف

النسخة إللي قريت فيها.

هدى: طيب نفرض إني إديتك

عنوان كريمة الشوربجي..

هتقوليلها إيه؟

t.me/qurssan

عايدة: هاقولها المسألة مسألة

حياة أو موت.

تضحك مدام هدى بينما تبقى عايدة الضمراني بعينيها المجهدتين وملامحها المخطوفة غير مُدركة لغرابة قولها.

هدى: موت مين؟

عايدة: موتي أنا.

تصطدم مدام هدى بانقباض من إجابة عايدة الضمراني، فتقول بحنان وهي تجلس بجوارها على ترابيزة القراءة وتلمس يدها بلطف وأمومة.

هدى: ليه بتقولي كده؟

عايدة: أنا آسفة.. بس هيه

ديه الحقيقة.

لمسة مدام هدى الرقيقة تجعل عايدة الضمراني على شفا الانهيار وهي تعترف بألم وصوت يقترب من البكاء.

عايدة: أنا قعدت سنتين في

مصحة نفسية.

t.me/qurssan

٣١

يقترب خالد من ساعة الحائط الكبيرة الواقفة بمهابة وجلال بالقرب من باب الشقة الخارجي. صوت البندول الطويل يُتكتك، وعقارب الساعة تُعلن الثانية بعد منتصف الليل، والأباجورة الطويلة بجوار باب الشقة الخارجي ترمي ظلالًا، والأباجورة القصيرة بجوار النافذة ترمي ظلالًا في الجهة المُعاكسة. على عمود من الكتب يستند على جسم ساعة الحائط، ويبدأ من الباركيه إلى ارتفاع قاعدة كرسي تقريبًا، يضع خالد الصورتين الفوتوغرافيتين لعايدة الضمراني اللتين أخذهما من امرأة الطابق الثاني وشريطًا لاصقًا شفافًا وكَتَرًا على عمود الكتب بجوار ساعة الحائط تمهيدًا لتثبيتهما على زجاج الساعة، واحدة على قرص الساعة الدائري، والثانية أسفلها. بمنتهى الدقة يبدأ خالد في تثبيت الصورتين وتحصينهما بالشريط اللاصق الشفاف.

t.me/qurssan

٣٢

زاهر المحامي في غرفة نومه يستلقي بالروب على السرير الكبير، وعلى الفراش أوراق ودوسيهات قضية قطة العدوي. باب الغرفة مفتوح. يُنادي زاهر المحامي بصوت منخفض مُتعَب على ممرضته.

زاهر: نسرين.. نسرين.

ينتظر زاهر المحامي بين نداء وآخر، ولا مُجيب سوى الصمت. يُبعد زاهر الغطاء عن نصفه السفلي، ويُنادي مرة أخرى، وكأنه يعطي فرصة ثانية لظهور ممرضته.

زاهر: نسرين.

يقوم زاهر من على السرير بضعف وكسل. يُدخل قدميه في الشبشب، ويربط حزام الروب على جسمه، وقبل خروجه من غرفته يسوي بيأس أوراق القضية المبعثرة على السرير، ليس بعناية يلملم الأوراق والدوسيهات، بل بيأس وضعف يكوم الأوراق في مكان واحد قرب وسادته. يخرج من الغرفة، ويتجه ببطء عبر ظلال الصالة إلى المطبخ، وينظر بشك وريبة داخله. يعود إلى الصالة، ويصعد درجات السلم إلى الطابق الثاني. يتوقف أمام غرفة نسرين. يطرق الباب طرقًا خفيفًا ويُنادي.

زاهر: نسرين.

يفتح زاهر المحامي غرفة نوم نسرين، فلا يجد أحدًا بداخلها. يُغلق الغرفة ثم يتقدم قليلًا في الممر القصير لغرفة الضيافة التي ينام فيها مؤقتًا قطة العدوي. يضع زاهر المحامي بتلصص مُنفِّر أذنه على خشب الباب، ويُرهف السمع. من داخل الغرفة يسمع زاهر المحامي ضحكتين مُتجاوبتين. يُنادي زاهر بنفس الصوت المنخفض وهو يطرق على الباب طرقًا خفيفًا مثل الذي طرقه على غرفتها، وهذا يعني عدم تأثره إذا ما كانت نسرين عند قطة العدوي في جوف الليل.

t.me/qurssan

زاهر: نسرين.

تنفرد ضحكة نسرين الأنثوية وكأنها إجابة وقحة على النداء. يمسك زاهر مقبض الباب ويلفه في اتجاه الفتح. يبدو أن الباب مُغلق من الداخل. يدفع زاهر المحامي الباب بجانب كتفه وهو يضغط على مقبض الباب، لكنَّ حركة دفعه ما زالت خالية من الانفعال، وكأنه يريد فقط التأكد من أن الباب مُغلق من الداخل. ينادي زاهر المحامي بنفس نبرة الصوت المريضة المُتمارضة، بنبرة صوت تستجدي العطف.

زاهر: نسرين.

t.me/qurssan

غرفة مرتبة أنيقة لم يُلمس فراش السرير فيها بعد. يجلس قطة العدوي بملابس النوم على كنبة أنتريه منفوخة بينما تنام نسرين بملابس النوم على فخذه، وتُخرج ساقيها في الهواء عن مسند كنبة الأنتريه، وهي تؤرجحهما في الهواء بالتناوب بينما يعبث قطة العدوي في خصلة شعرها شاردًا. تقول نسرين ردًّا على نداء المحامي بصوت حاد مرتفع حتى يسمعها من وراء الباب.

نسرين: أيوا أنا هنا يا حضرة المحامي

الكبير.. أنا هنا مع قطة المتهم في القضية

إللي ملهاش أول من آخر.. ارتحت..

انساني بقى من هنا ورايح.. أنا مع قطة

للأبد.. أنا كمان قُلتله على صورة

العواجيز إللي في أوضة المكتب..

أسرارك المِأملة.

ينتظر قطة العدوي رد فعل من وراء الباب إلا أن الخرس والصمت هما المجيبان على انتظاره، كأن زاهر المحامي كان في حاجة لسماع كلمات نسرين حتى يختفي دون رد. تقوم نسرين بجذعها من نومتها على فخذ قطة الذي يقول لها بدهشة.

قطة: إنتِ قُلتيلي مين هما

العواجيز إللي في أوضة المكتب؟

نسرين: قطة حبيبي أنا خايفة عليك..

لازم تنسى قضيتك كلها.. تنسى

المحامي وتنسى صورة العواجيز..

t.me/qurssan

أنا ممكن أسيب كل حاجة عشانك..

قطة: دلوقتي نسيب البيت.

نسرين: دلوقتي دلوقتي؟

قطة: أيوا.

نسرين: أنا كان قصدي بعد شوية..

برضه الأستاذ زاهر عيان.. وأنا

ممرضته.. حاجة ليها دعوة بضمير

المهنة.. أول ما يبقى كويس.. على

طول هاجي معاك في أي حتة.

t.me/qurssan

٣٤

كريمة الشوربجي في شقة مُستأجَرة لمُراقَبة مجدي الدمنهوري الذي يقطن أيضًا في شقة مُستأجَرة لمُراقَبة كريمة الشوربجي. كريمة التي لا تبعد شرفتها في الطابق الثاني عن شرفة مجدي في الطابق الثاني سوى نهر أسفلت ضيق، تمسك من وراء ستارة شفَّافة منظارًا تراقب به ضوء شرفة مجدي الذي يتحرك خياله بين الحين والآخر.

تترك كريمة منظارها وتذهب إلى ترابيزة صغيرة عليها تلفون. تضغط على أرقام متتابعة. تقول في سمَّاعة التلفون بعد لحظات.

كريمة: أنا زهقت.. بقالي يومين

وأنا مزروعة قدَّام البلكونة..

ما بيعملش حاجة.. يعني بيريح على

كنبة.. بيقرا في كتاب.. بيتكلم في

تلفون.. ما أنا باقول لنفسي أكيد في

حاجة تانية.. ينزل من الشقة..

يجيلوا حد.

t.me/qurssan

تجلس المرأة العجوز على رأس ترابيزة الاجتماعات التي تلتهم غرفة الاجتماعات، أمامها تلفون تتحدث فيه مع كريمة الشوربجي بينما يجلس الرجل العجوز على الرأس الأخرى من ترابيزة الاجتماعات أمامه تلفون يتحدث فيه. تقول المرأة العجوز لكريمة الشوربجي.

المرأة العجوز: على فكرة أنا لقيت بقعة

خفيفة على الباشمينا.. لأ مش باينة قوي..

كانت بقعة إيه ديه يا كريمة.. إزاي مش

فاكرة.. لازم تفتكري.. إنتِ عارفة إن

الشغلانة بتاعتنا كل حاجة فيها مهما

كانت تافهة ممكن توصلنا لحاجة مهمة..

زي ما إنتِ دلوقتي بتشتكي إن مجدي

الدمنهوري ما بيعملش حاجة.. مع إن

تريحته على الكنبة أو قرايته لكتاب

حاجة مش سهلة.. خصوصًا لو

عرفتِ كتاب إيه إللي بيقرا فيه أو الكنبة

سفنج ولَّا قطن.

تتحسس المرأة العجوز بأصابعها المِعَوِّجة طرف الباشمينا على رقبتها وهي تنظر عن قرب في نسيج القماش الذي لا تبدو فيه البقعة وتقول لكريمة.

المرأة العجوز: بقعة شوكولاتة؟

كريمة: كريم كراميل.

t.me/qurssan

٣٦

مجدي الدمنهوري في شقة مُستأجَرة لمُراقَبة كريمة الشوربجي التي تقطن أيضًا في شقة مُستأجَرة لمُراقَبة مجدي الدمنهوري. مجدي الذي لا تبعد شرفته في الطابق الثاني عن شرفة كريمة في الطابق الثاني سوى نهر أسفلت ضيق، يمسك من وراء ستارة شفَّافة منظارًا يراقب به ضوء شرفة كريمة التي يتحرك خيالها بين الحين والآخر. يترك مجدي منظاره ويذهب إلى ترابيزة صغيرة عليها تلفون. يضغط على أرقام متتابعة. يقول في سمَّاعة التلفون بعد لحظات.

مجدي: أيوا يا ريس.. مفيش جديد..

بس أنا حاسس إنها مستنية حد..

تقريبًا ما سابتش الشقة بقالها

يومين.. لأ يا ريس.. بس عندي

مشكلة في النوم.. خايف أنام.

t.me/qurssan

٣٧

يجلس الرجل العجوز على رأس ترابيزة الاجتماعات التي تلتهم غرفة الاجتماعات، أمامه تلفون يتحدث فيه مع مجدي الدمنهوري بينما تجلس المرأة العجوز على الرأس الأخرى من ترابيزة الاجتماعات أمامها تلفون تتحدث فيه. يقول الرجل العجوز لمجدي الدمنهوري.

الرجل العجوز: أنا عارف طبعًا إن

مشكلة النوم هتقابلك.. الرقابة مش

سهلة يا مجدي.. وكمان مش مثالية..

حاول تنام في الوقت إللي تحس فيه

إن كريمة نامت.. آه يعني هيه

بقالها يومين ما نامتش.. طيب أكيد

هتلاقيها في لحظة طفت النور

ونامت.. وهنا فرصتك إنك تنام

شوية.

t.me/qurssan

٣٨

أمام بيت قصير من أربعة طوابق وعلى ناصيته يقف رجل في الثلاثينيات يحدق بين الحين والآخر إلى البيت المضاء بشكل مُتفرِّق في نافذتين وشرفة. بقدر الإمكان يحاول الرجل ألا يبدو في انتظار أحد، ولهذا يجعل مِرواحه ومجيئه غير منتظم وذلك بإشعال سيجارة أو النظر إلى الناحية الأخرى من البيت، لكنَّ الشارع هادئ في عمومه، ولهذا لا يبدو الاضطراب على الرجل الثلاثيني الذي يرتدي ملابس شتوية. وفي لحظة ينهمك فيها الرجل الثلاثيني في موازنة انتظاره حتى لا يلفت نظر أحد، يُفاجأ برجل آخر في الخمسينيات من عمره يرتدي بالطو أنيقًا يقف أمامه مُباشرةً على الرصيف ويقول له بأدب مهزوز.

الخمسيني: آسف على الإزعاج..

من فضلك.. ممكن أسألك سؤال..

آه.. حاسس إني أزعجتك..

آسف مرة تانية.

يبتعد الرجل الخمسيني بسرعة ويختفي كما ظهر فجأة، بينما الرجل الثلاثيني ما زال في دهشته لكن دون انفعال. يعود الرجل الثلاثيني لما كان عليه من النظر إلى البيت المضاء ويعود أيضًا الرجل الخمسيني بعد لحظات من اختفائه إلى سؤال الرجل الثلاثيني.

الرجل الخمسيني: اعذرني حضرتك..

أنا مضطر إني أسألك.. إنت مستني

مين هنا؟

الرجل الثلاثيني: وده يهمك في إيه؟

الرجل الخمسيني: لو جاوبتك توعدني

t.me/qurssan

إنك تقولّي البيت إللي عينك

ما نزلتش من عليه بيت مين؟

الرجل الثلاثيني: أنا ما اعرفش في

الحقيقة بيت مين.. بس أعرف

إني مستني إشارة عشان أطلع

البيت وأستلم شنطة.

الرجل الخمسيني: إشارة؟

الرجل الثلاثيني: أيوا.

الرجل الخمسيني: والإشارة ديه

وصلتك دلوقتي؟

الرجل الثلاثيني: تقريبًا.

الرجل الخمسيني: طيب يلّا بينا.

الرجل الثلاثيني: يلّا.

يتقدم الرجل الثلاثيني والرجل الخمسيني ناحية البيت المضاء بشكل مُتفرِّق في نافذتين وشرفة. يصعدان الطابق الأول، ثم في الطابق الثاني وقبل أن يطرق الرجل الثلاثيني جرس باب إحدى الشقق، يمسك الرجل الخمسيني على آخر لحظة أصابع الرجل الثلاثيني ويقول له.

الرجل الخمسيني: استنى.. إنت متأكد

إن ديه الشقة؟

الرجل الثلاثيني: إللي خلاني وصلت

للإشارة مش هاوصل للشقة؟

t.me/qurssan

الرجل الخمسيني: عندك حق.. مع إن

وصولك للإشارة شِرْك بينا.

يضع الرجل الثلاثيني إصبعه بثقل على جرس الباب وهو يقول للرجل الخمسيني بكلمات هادئة بينما ما زالت إصبعه ضاغطة على جرس الباب.

الرجل الثلاثيني: الشنطة هتبات

معاك ولّا معايا؟

الرجل الخمسيني: لسه ما جاتش

التعليمات.

تفتح الباب امرأة في نهاية العشرينيات ويبدو أنها كانت تعرف أن إشارتها هي الضغط على جرس الباب أطول فترة ممكنة، إلا أن الرجل الخمسيني لا يعرف إشارتها بينما قد يعرف الرجل الثلاثيني إشارتها. يقول الرجل الخمسيني وهو يبتسم للمرأة العشرينية.

الرجل الخمسيني: آسفين على الجرس

الطويل.

تبتسم المرأة العشرينية وهي تسمح لهما بالدخول بينما ينظر الرجل الثلاثيني بابتسامة إلى المرأة العشرينية التي تقول بثقة وهدوء.

المرأة العشرينية: أنا إشارتي جرس

طويل مفيهوش ريحة الذوق.

ينظر الرجل الخمسيني بإحساس المغدور إلى الرجل الثلاثيني ويقول له بانفعال ثم ينظر إلى المرأة العشرينية.

الرجل الخمسيني: يعني إنت كنت عارف..

t.me/qurssan

وإنتِ كمان؟

يجلس الرجل الثلاثيني والرجل الخمسيني في هول صغير ينفتح على غرفتين، واحدة منهما غرفة النوم، ويظهر من باب غرفة النوم المفتوح سرير كبير. تذهب المرأة العشرينية إلى المطبخ، وتقوم بإعداد قهوة. وفي تلك الأثناء يرتفع صوت التلفون في الهول، فتأتي المرأة العشرينية للرد على التلفون.

المرأة العشرينية: ألو.. إيه ده إنت

ما سافرتش.. إزاي.. لأ ما باعملش

حاجة.. كنت مستنية تقولّي إنك

وصلت.. جاي دلوقتي.. أوكيه.

ينظر الرجل الخمسيني إلى الرجل الثلاثيني باضطراب بينما تسرح المرأة العشرينية وهي تضع سمَّاعة التلفون. يقول الرجل الخمسيني موجهًا سؤاله إلى المرأة العشرينية.

الرجل الخمسيني: في حاجة؟

المرأة العشرينية: جوزي.

الرجل الثلاثيني: ماله؟

المرأة العشرينية: جاي حالًا.

الرجل الخمسيني: يعني نمشي؟

المرأة العشرينية: مش هتلحقوا.

الرجل الثلاثيني: ناخد الشنطة

وننزل؟

المرأة العشرينية: معاد التسليم بعد

ساعتين.. مش هينفع.

t.me/qurssan

الرجل الخمسيني: والعمل؟

المرأة العشرينية: لازم تستخبوا هنا.

الرجل الثلاثيني: هنا؟

المرأة العشرينية: أيوا.

الرجل الخمسيني: فين؟

المرأة العشرينية: تحت السرير.

الرجل الثلاثيني: وجوزك هيبقى فين؟

المرأة العشرينية: فوق السرير.

الرجل الخمسيني: هوه بينام بسرعة؟

المرأة العشرينية: ربع ساعة بالكتير.

الرجل الثلاثيني: وإحنا هنقعد قد

إيه تحت السرير؟

المرأة العشرينية: ساعتين إلا ربع.

الرجل الخمسيني: هوه يعرف حاجة

عن موضوع الشنطة؟

المرأة العشرينية: لأ.

تقول المرأة العشرينية كلمة النفي وهي تمد يدها ناحية غرفة النوم، فيقوم الرجل الخمسيني والرجل الثلاثيني ويتجهان إلى الغرفة، ثم ينزلان بشكل آلي وهما يحافظان على هندامهما بأكبر قدر ممكن ثم ينزلقان تحت السرير بشكل متوازن وكأنهما لاعبا سيرك. المُفاجأة أنهما يصنعان سندويتشًا للحقيبة الواقفة تحت السرير والطائر منها في الهواء رقم الشفرة القديم ٠٩٩.

t.me/qurssan

٣٩

الغرفة بسيطة ذات أثاث كلاسيك. هناك شرفة كبيرة عليها ستارة تُنعِّم ضوء النهار، وهناك أيضًا ضوء صناعي من بلحتين مُضيئتين من مجموع ست بلحات في نجفة كريستال فوق ترابيزة طعام مُربَّعة صغيرة يجلس عليها الرجل العجوز والمرأة العجوز. أمام الرجل العجوز والمرأة العجوز طبقان كبيران في كل منهما شريحتان سميكتان من اللحم نصف الناضج وجزرتان مسلوقتان وحفنة بازلاء مسلوقة وقبّة صغيرة من الأرز الأبيض. بهدوء ومتعة تُقطِّع المرأة العجوز بأصابعها المِعَوَّجة شريحة اللحم التي تنز تحت ضغط الشوكة والسكين في أرض الطبق عصارة دموية نصف قاتمة نصف وردية. تصعد أصابع المرأة العجوز بقطعة اللحم إلى فمها، تطبق شفتيها على اللحم بحرص واستمتاع، فتخرج الشوكة من فمها نظيفة لامعة، وتمضغ اللحم نصف الناضج ببطء وهي تسعفه بدون عجلة بقطعة جزر وقدر نصف ملعقة من الأرز الأبيض بحافة الشوكة. شفاه العجوزين صارمة في إغلاقها الشديد في أثناء المضغ. تصب المرأة العجوز في كأسها من زجاجة الواين الأحمر القاتم. ينادي الرجل العجوز بصوت ضعيف وهو يتجه بنظره إلى باب غرفة المعيشة المفتوح.

الرجل العجوز: عايدة.

بعد لحظات تدخل عايدة الضمراني من باب غرفة المعيشة وفي يدها طبق كبير وعبوَّة مياه غازية. تجلس عايدة على الترابيزة ثم تعلق حقيبتها الكبيرة في ظهر الكرسي وتقول بابتسامة مُتعبة.

عايدة: إزيك يا جدي..

هاي جدة.

سلام عايدة إلى الجد أكثر حميمية من سلامها إلى الجدة التي تقول لحفيدتها بسخرية هادئة وهي ترتشف كأس الواين.

t.me/qurssan

المرأة العجوز: إشمعنا هوه جدي

وأنا جدة؟!

يقول الرجل العجوز بشيء من المرح الساخر وهو ينظر إلى المرأة العجوز ثم ينظر بتواطؤ إلى عايدة الضمراني التي تبتسم لجدها.

الرجل العجوز: إدي يا جدي..

هنبدأ الموشَّح.

تقول عايدة للمرأة العجوز وهي تتناول أول ملعقة من طبقها الذي يحتوي على مكونات طبقي العجوزين باستثناء اللحم.

عايدة: التة مش لايقة يا جدة..

جدتي ديه تقيلة على لساني.

المرأة العجوز: طيب.. أنا كنت

فاكرة إن...

تقاطع عايدة الضمراني جدتها وكأنها تعرف ما تفكر فيه بينما ينظر الرجل العجوز إلى المرأة العجوز ببرود.

عايدة: ملوش دعوة يا جدة

إنك أم ماما.

يقول الرجل العجوز عابثًا عبث الأطفال وهو يدفع بقطعة لحم دامية في فمه ويميل على المرأة العجوز ويشير إلى عايدة الضمراني بالشوكة الفارغة.

الرجل العجوز: ولا لي دعوة بإني

أبو أبوها.

تقول المرأة العجوز بعد تلقي السخرية وهي تنظر ناحية طبق

t.me/qurssan

عايدة الضمراني الخالي من اللحم بينما يصب الرجل كأسًا لنفسه.

المرأة العجوز: إنتِ قاطعتِ اللحمة خلاص؟

عايدة: أيوا.

تُخرج عايدة الضمراني من حقيبتها الكبيرة علبة دواء وتضعها أمامها على الترابيزة وتصب لنفسها كوبًا كبيرًا من الماء، فيقول الرجل العجوز عندما يرى علبة الدواء موجهًا كلماته لحفيدته.

الرجل العجوز: رُوحتِ للدكتور؟

عايدة: أيوا.

ترفع عايدة الضمراني عن الترابيزة علبة الدواء ليراها الرجل العجوز وتقول بخيبة أمل وهي تأخذ ملعقة أرز أبيض وقليلًا من البازلاء.

عايدة: كَتبلي حاجة جديدة..

وقالِّي لازم أغيَّر شوية

شكل حياتي.. أو على الأقل

أعمل حاجات كنت باحبها.

المرأة العجوز: زي إيه؟

عايدة: أنا رجعت للقراية تاني.

الرجل العجوز: هوه إنتِ كنتِ

سبتيها؟

عايدة: ما اقصدش يا جدي..

قصدي طقوس كنت باعملها

من سنين.. زي القراية في

t.me/qurssan

المكتبة العامة واستعارة

الكتب منها.. الدكتور قال

إن مجرد الالتزام بقوانين

بسيطة زي تطليع كارنيه..

أو الالتزام بمدة استعارة..

هيفدني كتير.

المرأة العجوز: وعَملتِ كده؟

عايدة: عملت يا جدة.

تُخرج عايدة الضمراني لسانها وهي تقول كلمة جدة للرجل العجوز الذي يبتسم للمرأة العجوز التي تقول بغضب طفولي لحفيدتها.

المرأة العجوز: إنتوا الاتنين إللي

بتعاكسوني أهوه.. طيب.. يعني

رُوحتِ المكتبة؟

عايدة: روحت واكتأبت.

الرجل العجوز: ليه؟

عايدة: دوَّرت على كتاب كنت

استعرته من سبعتاشر سنة.

المرأة العجوز: ولاقيتيه؟

عايدة: لأ.

الرجل العجوز: كتاب إيه؟

عايدة: كتاب كده كانت ليَ

t.me/qurssan

معاه ذكريات حلوة.

المرأة العجوز: إزاي ما لاقيتيهوش؟

عايدة: لاقيته.. بس مش الطبعة

إللي استعرتها من سبعتاشر سنة.

تقول المرأة العجوز لحفيدتها وهي تدفع إلى فمها بلذة ومتعة قطعة من اللحم الغنية بعصارتها الدموية بينما تأكل عايدة بشهية ضعيفة.

المرأة العجوز: شاوري عقلك اللحمة هايلة.

الرجل العجوز: اسمه إيه الكتاب؟

عايدة: «خسوف كلي».

المرأة العجوز: بيتكلم عن إيه؟

عايدة: مش فاكرة قوي.. بس

فاكرة إني كنت في حالة نفسية

كويسة لمَّا استعرته.

تُزيح عايدة الضمراني طبق الطعام جانبًا وتأتي بحقيبتها من وراء ظهرها وتعبث بها لتُخرج في النهاية الصورة الفوتوغرافية التي أُخذت لها والتي أصبحت بعد سنوات في محفظة قطة العدوي خطيبها السابق. تقول عايدة الضمراني وهي تمد الصورة للرجل العجوز.

عايدة: فاكر يا جدي.. إنت إللي

صورتني الصورة ديه.. وكنت بقرا

في الكتاب.

ينظر الرجل العجوز إلى الصورة الفوتوغرافية ويبدو على

t.me/qurssan

ملامحه جهد التذكُّر بينما تمد المرأة العجوز يدها إليه لترى الصورة. يعطي الرجل العجوز الصورة إلى المرأة العجوز التي تنظر إليها بتحفز وتقول بفرحة طفولية لأنها تذكَّرت الصورة قبل الرجل العجوز.

المرأة العجوز: أنا فاكراها.

الرجل العجوز: وأنا قلت إني ناسيها؟!

المرأة العجوز: مش ديه الصورة

إللي خَدها خطيبك بعد كده..

كان اسمه...

الرجل العجوز: قطة العدوي.

عايدة: صح يا جدي.

المرأة العجوز: أنا إللي افتكرت

الصورة.. مفيش صح يا جدتي؟

عايدة: وإنتِ كمان صح يا جدة.

تنظر المرأة العجوز بإحباط إلى حفيدتها ثم تقول وهي ترتشف من كأس الواين بينما تسترد عايدة الصورة الفوتوغرافية وتضعها في حقيبتها ثم تفتح علبة الدواء وتأخذ منها حبة وتشرب وراءها قليلًا من الماء. تقول المرأة العجوز لعايدة.

المرأة العجوز: المهم.. عملتِ كارنيه

الاستعارة؟

عايدة: مليت الاستمارة وهاخدُه

بكرة.

الرجل العجوز: وهتعملي إيه في

t.me/qurssan

الكتاب؟

عايدة: عرفت عنوان إللي خدت

الكتاب وما رجَّعِتوش.

الرجل العجوز: هَتروحِيلها؟

عايدة: أيوا.

الرجل العجوز: ليه؟

عايدة: كده.

الرجل العجوز: اسمها إيه؟

عايدة: كريمة الشوربجي.

تقول المرأة العجوز بتحفز لحفيدتها بينما ينظر الرجل العجوز وهو يرتشف من كأس الواين إلى المرأة العجوز.

المرأة العجوز: مَعاكِ صورة ليها؟

عايدة: أنا خدت من أمينة المكتبة

بشكل استثنائي استمارة الاستعارة

بتاعتها.. والاستمارة فيها صورة

صغيِّرة.

المرأة العجوز: ورِّيهالي.

تُخرج عايدة الضمراني من حقيبتها ورقة مطوية فيها بيانات، وفي أعلى الورقة صورة فوتوغرافية صغيرة لكريمة الشوربجي مقاس أربعة في ستة، وتمد الورقة لجدتها التي تأخذها باهتمام، وتنظر فيها بعد أن تستعين بنظَّارتها الطبية الموضوعة في جراب على الترابيزة. تدقق المرأة العجوز في الصورة وذلك بأن تبعد الورقة عن عينيها ثم تُقربها، وتقول في النهاية لعايدة.

t.me/qurssan

المرأة العجوز: ثانية واحدة.

تقوم المرأة العجوز من على الترابيزة، وتفتح درجًا في قطعة أثاث أشبه بالبار أو النيش وراء ترابيزة الطعام ثم تعود بالصورة الفوتوغرافية لكريمة الشوربجي التي أخذتها من مجدي الدمنهوري في السابق ثم تعود إلى جلستها على ترابيزة الطعام وتأخذ في المُقارنة بين الصورتين، واحدة في ورقة الاستمارة عليها دبوس فظ يأكل جبهة كريمة الشوربجي، وأخرى كبيرة واضحة تبدو فيها كريمة الشوربجي بالباشمينا على رقبتها. تقول المرأة العجوز بعد وقت المُقارنة.

المرأة العجوز: هيه كريمة الشوربجي.

عايدة: إنتِ تعرفيها يا جدة؟

تمد عايدة الضمراني يدها وتقول بلهفة للمرأة العجوز التي تعطي الاستمارة بصورتها الصغيرة والصورة التي لديها إلى حفيدتها.

عايدة: ورِّيني.

يقول الرجل العجوز بنرفزة موجهًا كلامه للمرأة العجوز التي تعود إلى أخذ حفنة من الأرز الأبيض على طرف الشوكة وتدفعها إلى فمها.

الرجل العجوز: إنتِ خدتي الصورة من

مجدي إمتى؟

المرأة العجوز: من وراك.

الرجل العجوز: ليه؟

المرأة العجوز: أهي نفعت أهيه.

عايدة: إنتوا تعرفوا كريمة من إمتى؟

الرجل العجوز: من فترة قليلة.. حاجة

t.me/qurssan

ليها دعوة بالشغل.

المرأة العجوز: إنتِ هتقابليها؟

عايدة: بافكَّر.

المرأة العجوز: لازم تقابليها.

عايدة: ليه؟

الرجل العجوز: عشان الكتاب؟

المرأة العجوز: لأ عشان الباشمينا.

عايدة: باشمينا إيه؟

المرأة العجوز: كريمة إدتني هدية

باشمينا.

يقاطع الرجل العجوز المرأة العجوز ويقول وهو ينظر إليها بتحدٍّ بينما تعود عايدة للنظر والمُقارنة بين الصورتين الفوتوغرافيتين لكريمة الشوربجي.

الرجل العجوز: إنتِ إللي شبطتِ

فيها.

المرأة العجوز: مش مهم.. المهم

إنها إدتهاني هدية.. وما ينفعش

حد يدي لحد هدية فيها عيب.

عايدة: عيب إيه؟

المرأة العجوز: الباشمينا فيها بقعة..

ولمَّا سألت كريمة قالتلي..

إن البقعة بقعة كريم كراميل..

t.me/qurssan

مع إني شاكة إنها ممكن تكون

بقعة قهوة أو شوكولاتة.

الرجل العجوز: وبفرض إنها بقعة

قهوة أو شوكولاتة.. إيه يعني؟

المرأة العجوز: لأ.. تفرق كتير.

عايدة: إزاي يا جدة؟

المرأة العجوز: أنا كنت هاطنش

جليطة إن الهدية فيها عيب..

يعني كانت لازم تقولّي في ساعتها

لمَّا شبطت في الباشمينا.. لكن

كمان تكدب عليَّ وتقول إنها

بقعة كريم كراميل.. وهيه احتمال

تبقى بقعة قهوة أو شوكولاتة.. ده

كتير عليَّ.

الرجل العجوز: وهتتأكدي إزاي

إنها بقعة قهوة أو شوكولاتة

يا شارلوك هولمز؟

المرأة العجوز: لمَّا عايدة تروحلها

بالباشمينا وتقولّها جدتي بتقولّك

مرسيه جدًّا على الهدية المعيوبة...

يُقاطع الرجل العجوز كلمات المرأة العجوز ويقول وهو يبتسم

t.me/qurssan

لحفيدته بينما لا تتأثر المرأة العجوز بمُقاطعة الرجل العجوز وتكتفي بنظرة احتقار له ثم تُكمل حديثها.

الرجل العجوز: وتقوليلها جدة بتقولّك.

المرأة العجوز: وترميهلها في وشها..

ممكن ساعتها تعترف هيه كانت بقعة

قهوة ولّا بقعة شوكولاتة.. هاقوم

أجيبلِك الباشمينا يا عايدة.

تقوم المرأة العجوز بهدوء وتخرج من غرفة المعيشة بينما يقول الرجل العجوز لعايدة بعد تتبع خروج المرأة العجوز.

الرجل العجوز: سيبك منها.. المهم

إنك هتقابلي كريمة عشان موضوع

الكتاب.. وعلى الطاير شوفي موضوع

الجدة.

عايدة: أوكيه.. بس إنت عارف جدة

ما ينفعش موضوعها على الطاير..

هتقعد تسأل وتدقق.

الرجل العجوز: وليكن.. إنتِ وراكِ

إيه.. بالعكس ده ممكن موضوع زي

ده يشغلك بالمعنى إللي قالّك عليه

الدكتور.

عايدة: مش عارفة.

الرجل العجوز: أنا افتكرت حاجة عظيمة

t.me/qurssan

ليها علاقة بكتابك.. هوه الكتاب اسمه إيه؟

عايدة: «خسوف كلي».

الرجل العجوز: آه.. فاكرة صاحبك إللي

قُلتيلي إنه استعار الكتاب قبلك تسع مرَّات؟

عايدة: أيوا.. سعد الدين عمران.

الرجل العجوز: لسه بتشوفيه؟

عايدة: لأ ما شوفتوش ييجي من تمن

سنين.. بس آخر مرة اتكلمنا من

سنتين.

الرجل العجوز: يعني الصداقة كانت

تستحمل إنك تجددِيها؟

عايدة: جدًّا.. سعد شخص لطيف

وكنا صحاب بجد.

الرجل العجوز: كويس.. مش وارد

يبقى عنده ذكريات عن الكتاب..

ممكن ذكريات مشتركة بينكم

وإنتِ ناسياها.

عايدة: ممكن.

الرجل العجوز: كمان في حاجة..

ما فكرتيش تستعيري النسخة

الجديدة من الكتاب.. الكتاب في

t.me/qurssan

النهاية هوه هوه.

تقول عايدة الضمراني للرجل العجوز بشيء من الحدة وهي تبعد حقيبتها عن الترابيزة وتُقرِّب طبق طعامها.

عايدة: لأ.

الرجل العجوز: ليه؟

عايدة: أنا عاوزة النسخة إللي

قريت فيها.. إشمعنا الجدة

هترجِّع الباشمينا عشان بقعة

قهوة ولّا شوكولاتة.. وكمان

لسه مش متأكدة.. وأنا أرضى

وأتنازل عن النسخة إللي

عاوزاها.

الرجل العجوز: يعني لو طلعت

بقعة الباشمينا بقعة كريم كراميل

تستعيري النسخة الجديدة؟

عايدة: ساعتها يبقى في كلام تاني.

t.me/qurssan

٤٠

صوت «بيلي هوليداي» ينبعث هادئًا من أرجاء المقهى المطعم. تجلس كريمة الشوربجي في ترابيزة مميزة، بشعرها القصير وشظية لامعة على طاقة أنفها من الخارج. أمامها فنجان قهوة فارغ وكوب ماء ممتلئ إلى منتصفه. يتجه أحمد جرسون المقهى إلى ترابيزة كريمة، يرفع فنجان القهوة وكوب الماء بينما تدخل عايدة الضمراني من باب المقهى بهيئتها الهيبية المهزوزة. تلقي عايدة نظرة عامة على المكان ثم تنظر ناحية كريمة الشوربجي وتتقدم ناحيتها، ومع تقدمها تبتسم كريمة وأيضًا عايدة. تبدأ عايدة الضمراني بطقس التعارف وهي تُسلم على كريمة الشوربجي التي تقوم نصف قومة من جلستها للسلام.

عايدة: عايدة الضمراني.

كريمة: كريمة الشوربجي.

تجلس عايدة الضمراني أمام كريمة الشوربجي وتأخذ بعض الوقت في وضع حقيبتها وخلع الجاكيت وإخراج علبة سجائرها وولاعتها من الحقيبة. تفتح كريمة الشوربجي الحديث.

كريمة: عِرفتِ المكان على طول.

عايدة: أيوا.. أنا جيت هنا مرتين

أو تلاتة بس من فترة.. جدة

بتسلم عليكِ.

عند إشارة عايدة الضمراني إلى المرأة العجوز وبشبه تواطؤ تبتسم عايدة وتبتسم كريمة وتسمح عايدة بشكل مُضمر لكريمة بأن تصنع إشارة بوجهها، مفاد الإشارة أن المرأة العجوز حقنة، لكن الإشارة تقف عند هذا الحد فقط، وكأن عايدة تسمح بالسخرية العابرة من جدتها في بداية حديث لا تعرفه جيدًا، لكنها لن تسترسل في السخرية. تقول كريمة لعايدة التي تُشعل

t.me/qurssan

سيجارة.

كريمة: الله يسلمها.. هيه لسه

مكلماني إمبارح.. طبعًا إحنا

بنتكلم كتير اليومين دول عشان

الشُغل.. بس كمان بنتكلم عشان

المحبة إللي بينا.

عايدة: هيه بتحبك قوي.

كريمة: وأنا كمان.. تشربي

إيه؟

تقول عايدة مُباشرة وبنظرة قوية غامضة، سهم نظرتها يخترق كيان كريمة الشوربجي التي لم تتوقع أن تخرج تلك النظرة من عايدة الضمراني.

عايدة: هوت تشوكليت.

تبتسم كريمة بارتباك وهي تشير وتنادي بصوت منخفض على جرسون المقهى الذي يأتي سريعًا لصدفة مروره بالقرب من ترابيزة كريمة.

كريمة: أحمد.

أحمد: أيوا.

كريمة: هوت تشوكليت..

وهاتلي أنا كريم كراميل.

ترد كريمة الشوربجي النظرة القوية إلى عايدة الضمراني التي تبتسم ابتسامة من يقبل سجال اللعبة. تقول كريمة وهي تميل على الترابيزة في مواجهة عايدة بينما يذهب الجرسون.

t.me/qurssan

كريمة: تسمحيلي.

عايدة: طبعًا.. من حقك..

مش عارفة أبدأ إزاي بس

الجدة موصياني إن أول

حاجة أعملها إني أدِّيكِ الباشمينا.

تُدخل عايدة الضمراني يدها في حقيبتها وهي مُحرَجَة من التقاء عينيها بعيني كريمة الشوربجي التي تُشعل سيجارة من علبة تختلف في الماركة عن علبة عايدة. تأخذ كريمة بأسف الباشمينا وتضعها على الترابيزة جانبًا وتقول.

كريمة: كده على طول مش

تسمعي دفاعي.

عايدة: الجدة قالتلي لو طلعت

البقعة بقعة كريم كراميل هآخد

الباشمينا تاني ويا دار ما دخلك

شر.

كريمة: أنا بأكدلك إنها بقعة

كريم كراميل.. بس مش عارفة

أثبت ده إزاي.

عايدة: موضوع الباشمينا ممكن

يأثر على شغلك مع الجدة؟

كريمة: مش عارفة.. إنتِ شايفة

إنه ممكن يأثر؟

t.me/qurssan

عايدة: أكيد.. الجدة طفلة شريرة

وما بتحبش غير نفسها.

كريمة: يا شيخة.

عايدة: أيوا.. هيه السبب في عيايا..

لازم تثبتِلها إنها بقعة كريم كراميل..

لو ما عملتيش كده هتخلي حياتك

جحيم.. زي حياتي بالظبط.

في تلك الأثناء يأتي أحمد الجرسون وهو يحمل كوب الشوكولاتة الساخنة وطبقًا صغيرًا يحمل قرص الكريم كراميل وكوبين كبيرين من الماء. يضع كوب الشوكولاتة أمام عايدة والكريم كراميل أمام كريمة التي تتذكَّر شيئًا فتقول بأمل وابتسامة للجرسون.

كريمة: آه.. أحمد فاكر من أسبوعين

أو تلاتة كنت قاعدة أنا وخالد هِنا؟

يبتسم أحمد بأدب وارتباك ويقول لكريمة بينما ترتشف عايدة الضمراني الشوكولاتة الساخنة بلذة خالية البال وهي تنفخ في حافة الكوب لتبريد الشوكولاتة. يقول أحمد مُبتسمًا لكريمة.

أحمد: آنسة كريمة حضرتك والأستاذ

خالد بقالكو سنين بتيجوا بانتظام..

تقريبًا يوم آه ويوم لأ.. وأحيانًا كل

يوم.. تقصدي أنهي مرة فيهم؟

كريمة: يا أحمد ركِّز.. مرة من تلات

أسابيع بالليل.. حتى جبتلي كريم

t.me/qurssan

كراميل.

أحمد: يا أفندم حضرتك لو حسبت

كام مرة طلبتِ كريم كراميل ممكن

يطلعوا في السنة فوق الألف مرة.

تقول عايدة الضمراني بسخرية للجرسون وكأنها تعرفه منذ زمن وهي تشعل سيجارة ثانية بينما نظرة كريمة مُعلَّقة بملامح الجرسون.

عايدة: هيه مرة واحدة من الألف

إللي ممكن تنجدها.

تُكشِّر كريمة عن ملامحها فتبدو الشظية اللامعة على جانب أنفها من الخارج فاتنة وهي تقول لعايدة بينما يبدو أحمد لا يفهم شيئًا.

كريمة: استني يا شيطانة إنتِ.

تمسك كريمة الباشمينا من على الترابيزة وتقربها للجرسون وهي تقول بينما تواصل عايدة الضمراني بنهم ارتشاف الشوكولاتة الساخنة وتتابع بعينيها حديث كريمة اليائس مع الجرسون.

كريمة: أحمد.. الباشمينا ديه لمَّا

نطت حتة كريم كراميل عليها

مش إنتَ خدتها مني تنضفها في

المطبخ.. حتى ساعتها قُلتلك

في أمل.. قوم قُلتلي أكيد.

عايدة: فاكرة قُلتِ إيه وقالّك

إيه ومش فاكرة كان من أسبوعين

t.me/qurssan

ولّا تلاتة؟

تقول كريمة بغضب ونرفزة ونظرة حادة إلى عايدة الضمراني بينما ما زال الجرسون بريئًا لكنه يحاول التذكُّر.

كريمة: عايدة!

ترضخ عايدة لنظرة كريمة الحادة وتقول بابتسامة خنوع بينما تنفرج ملامح أحمد الجرسون عن الذكرى التائهة.

عايدة: أوكيه.

أحمد: أيوا افتكرت.. من ييجي

أكتر من أسبوعين بس مش من

تلات أسابيع.. خدت منك الباشمينا

أنضفها في المطبخ بشوية تِنر.

تنظر كريمة الشوربجي بانتصار إلى عايدة الضمراني وتُخرج لها طرف لسانها وتصدر صوتًا آآآ ثم تأخذ بطرف الملعقة قطعة من الكريم كراميل وتدفعها إلى فمها بينما يُكمل أحمد مُفاجأة غير سارة لكريمة الشوربجي.

أحمد: بس يا آنسة كريمة أنا

مش فاكر إنها بقعة كريم كراميل..

ممكن تبقى بقعة قهوة أو شوكولاتة

أو سَلَطة.

تنفجر عايدة الضمراني بضحكة مبتورة ما تبدأ إلا وتُكْبح سريعًا وهي تضع يدها على فمها بينما تنظر كريمة شزرًا إلى الجرسون وتقول له بقرف ليس كامل الجدية ويُدرك هذا الجرسون بشيء من الخجل والابتسامة المؤلمة.

كريمة: غور يا أحمد من وشي.

t.me/qurssan

ينسحب أحمد بابتسامته المؤدبة بعد أن يأخذ من أمام كريمة الشوربجي فنجان القهوة الفارغ ونصف كوب الماء بينما تنظر كريمة الشوربجي باستسلام إلى عايدة الضمراني التي تقول بشيء من الابتزاز والبراجماتية.

عايدة: عاوزة الحل؟

كريمة: في عرضك.

عايدة: هاتي الكتاب.

كريمة: كتاب إيه؟

عايدة: «خسوف كلي».

كريمة: ما أنا قُلتلك..

الكتاب مع خالد.. ونفرض

إني جِبتلك الكتاب.. إيه

ده علاقته بالباشمينا؟

عايدة: لو جِبتِ الكتاب هاقول

للجدة إن أحمد الجرسون قال

إنها بقعة كريم كراميل.

كريمة: هتكدبي!

عايدة: يس.

كريمة: بس برضه الجدة ده

مش هيرضيها للنهاية..

هتفضل فاكرة إني إدّتها

هدية معيوبة.. وبعد يومين

t.me/qurssan

هترجعهالي تاني.. وهيه عيِّلة

شريرة وتعملها.

عايدة: حاجة واحدة غير حاجتين.

كريمة: مش فاهمة.

عايدة: لو هيه بقعة كريم كراميل بس

زي ما قُلتيلها ومفيش

احتمال بقعة القهوة والشوكولاتة..

على الأقل مش هَتئذيكِ في

شغلك.. إنتِ عارفة أذية الجدة

معناها إيه؟

كريمة: لأ.

عايدة: بلاش أحسن.. بس

اعرفي إنها حاجة مش كويسة.

كريمة: واللّه أنا من نفسي أول

ما قُلتيلي حاولت أجس نبضه

إنه ممكن يديلي الكتاب.. بس

هوه اتهرَّب من الموضوع كله..

لازم إنتِ إللي تحاولي تقابليه..

وممكن يقتنع لمَّا يشوفك.. ده

كان هيتجنن عليكِ في الأول.

عايدة: ودلوقتي حصل إيه؟

t.me/qurssan

كريمة: ما اعرفش.. باين في

عايدة تانية دخلت على الخط.

عايدة: عايدة مين؟

كريمة: جارتكو في بيتكو

القديم.

عايدة: هوه إللي حكالك؟

كريمة: أيوا.

عايدة: عايدة تاني.

كريمة: قصدك إيه؟

عايدة: أبدًا.. أصلها عملت

لينا مشاكل زمان.. ودلوقتي

برضه نفس نوع المشاكل.

كريمة: وهتعملي معاها إيه؟

عايدة: مش عارفة.. يعني خالد

قبل عايدة جبران كان مهتم إنه

يشوفني.

كريمة: جدًا.

t.me/qurssan

٤١

كريمة الشوربجي في صالة الشقة تنتظر خالد الذي يصنع فنجاني نسكافيه في المطبخ. تسير كريمة في الصالة بقلق ذهابًا وإيابًا. تلحظ على زجاج الساعة الكبيرة في الصالة الصورتين الفوتوغرافيتين لعايدة الضمراني. تنظر إلى الصورتين وتعوج فمها وهي تتأمل الصورتين وكأنها تنفي عنها أي تعاطف من قِبَلها. يأتي خالد من المطبخ وفي يده مَجَّان من النسكافيه. يقترب خالد من كريمة ويُقدِّم لها المَج الذي يقطع الهواء بين عينيها والصورتين الفوتوغرافيتين. يذهب خالد بعيدًا عن ساعة الحائط ويجلس على كرسي أمام التلفزيون المُغلق وكأنها دعوة منه كي تأتي كريمة وتجلس معه. تستجيب كريمة وتمشي الخطوات القليلة، وتجلس على كرسي مجاور لخالد ثم تضع مج النسكافيه على الترابيزة وتقول لخالد.

كريمة: خالد هتعمل إيه؟

يرد خالد ببرود على كريمة وهو يشعل سيجارة ويأخذ رشفة من مج النسكافيه بينما تنظر إليه كريمة بحيرة وهم.

خالد: ولا حاجة.

كريمة: إزاي.. يعني تورطني

معاك وتقولّي ولا حاجة..

خالد أنا خايفة.

خالد: من إيه؟

كريمة: من عايدة الضمراني.

خالد: وإنتِ هتخافي منها ليه؟

كريمة: مش عارفة.. بس حاسة

إنها محملاني مسؤولية الكتاب..

t.me/qurssan

ما تدهولها وتخلصني.

خالد: لأ.. الكتاب لأ.

كريمة: طب افرض إنها

حاولت تقابلك.. إنت عارف

مين جدها وجدتها؟

خالد: عرفت على إيدك..

قُلتلك قبل كده ما تلعبيش

في موضوع الشنطة.. وآدي

النتيجة.

تشير كريمة الشوربجي ناحية ساعة الحائط وتقول لخالد بينما خالد يُشعل سيجارة ويسوي بيديه مجموعة من السيديهات على الترابيزة.

كريمة: ما إنت حاطط صورها

على الساعة أهوه.. أمَّال مش

عاوز تشوفها ليه؟

ينظر خالد فجأة إلى كريمة وكأنه حدس بشيء ما، ويقول لكريمة التي تأخذ من علبة سجائره واحدة وتشعلها.

خالد: كريمة.. إنتِ قُلتِ لعايدة

إني مش عاوز أشوفها؟

كريمة: أنا.. ليه بتقول كده؟

خالد: حاسس إنك خُوفتِ..

فممكن تلوشي.

t.me/qurssan

كريمة: من جهة خايفة أنا

خايفة.

خالد: ومن جهة لوشتي؟

كريمة: لوشت.

يضحك خالد وكريمة بمرارة وسخرية. يقول خالد بيأس عن نفسه وهو يُخرج نفسًا طويلًا من سيجارته.

خالد: بيقولوا عني إني راجل بدايات

عظيم.. آه بدايات بس.

كريمة: وبيقولوا برضه إنك كل

مرة بتبقى ناوي تكمِّل للنهاية..

قصدي بالنهاية.. النهاية بس.

خالد: غريبة مفيش حد بيسمع

كلمة النهاية.. إلا ويعتبرها

نهاية.. لازم الواحد يستخدم

كلمة تانية.

t.me/qurssan

٤٢

كريمة الشوربجي ممددة على الأرض أمام الشرفة، مخنوقة بطرفي الباشمينا، وقرب يدها منظار المُراقَبَة. طرفا الباشمينا يسحقان الرقبة. وجه كريمة الشوربجي منفوخ ومشوه، وعيناها ثابتتان بنظرة الموت الفارغة، ويخرج لسانها على جانب فمها، وتفقد الشظية اللامعة على طاقة أنفها من الخارج سحر الحياة.

t.me/qurssan

المرأة العجوز تمشي بخطوات سريعة، وهي سرعة مَن يريد الذهاب لقضاء حاجته، تضغط على شفتها السفلى، وتُضيِّق بين ساقيها، وفي نفس الوقت تريد لخطواتها السرعة، وتقطع ممرًّا إلى الحمَّام المضاء بضوء كهربائي. تنقر المرأة العجوز بأصابعها الشائهة بالروماتويد على زجاج باب الحمَّام، وتُقرِّب وجهها من الباب وتقول.

المرأة العجوز: خلَّصت.. عاوزة أدخل.

يأتي صوت الرجل العجوز من داخل الحمَّام باردًا يتفجَّر من الملل بينما تضم المرأة العجوز ساقيها ووجهها يلتصق بالباب.

الرجل العجوز: أنا لسه داخل.. هوه

مفيش مرَّة أدخل الحمَّام إلا ما تبقي

إنتِ كمان عاوزة تدخلي؟

المرأة العجوز: يعني أعمل إيه؟

الرجل العجوز: كلي واشربي في

وقت تاني.. مش معقول هضمك

مظبوط على هضمي.. أنا بادخل

الحمَّام للتقيلة مرة واحدة في اليوم..

وإنتِ بتدخُليلها مرتين وتلاتة..

سِيبيلي مرة من غير إزعاج.

تقول المرأة العجوز بنفاد صبر وهي تضم ساقيها وتنقر بأصابعها المطلية بمانيكير فاقع على باب الحمَّام بشكل عصبي.

المرأة العجوز: يلَّا بقى.

t.me/qurssan

يفتـح الرجـل العجـوز بـاب الحـمَّام قبل أن تُكمل المرأة العجـوز جملتها. تدخل المرأة العجوز الحمَّام سريعًا وتُغلق الباب وراءها.

t.me/qurssan

٤٤

الورشة فارغة كعيادة أسنان من وجهة نظر فتحي الذي جلس نصف جلسة واستند على المحفة التي فقد عليها سِنَّة من أسنانه. يرتدي فتحي العفريتة الجينز. ينظر إلى جمالات المشنوقة أمامه على حاملين سميكين من نفس نوع الخشب الذي صنع به المحفة. تقترب قدما جمالات في الهواء من أرض الورشة المفروشة بنشارة خشب خفيفة. تحت قدمها اليسرى فلتت من ألم الموت فردة الشبشب أبو صباع اليسرى، بينما بقيت الفردة اليمنى صامدة بين أصابع قدمها اليمنى، ولم تسقط على الأرض. ينظر فتحي إلى قدمي جمالات، ويهرش بخمول مَنْ استيقظ من نوم عميق مريح في قفا شعره الكثيف.

t.me/qurssan

٤٥

غرفة سعد الدين عمران بنفس وحشية محتوياتها: أنبوبة الغاز وقطع الحديد الخردة والتماثيل الجصية والمنجلة ومسدس اللحام والمبارد والمناشير ومراين الخشب وبرادة الحديد ونشارة الخشب وثلاجة المحلات التجارية. يجلس سعد الدين عمران على سريره الكبير، وفي يده وهو نائم نصف نومة سمَّاعة تلفون كبيرة طراز قديم بينما ساقه الصناعية مرمية أسفل السرير. يقول سعد الدين عمران في التلفون وهو يسوي نصف جلسته بمساعدة خُدَّدية.

سعد الدين عمران: عايدة.. تعالي

بس إنتِ وملكيش دعوة بحاجة..

يود البحر هيخليكِ تمام.. بس

للأمانة أنا إللي قلت لخالد إنه يدخلك

بطريقة مش مباشرة.. عشان أنا

عارفك.. طبعًا ما كنتش أعرف

إن المسألة ممكن تتعقد كده.

يدخل فتحي ومريم من باب الغرفة. فتحي يحمل على كتفه جثة جمالات بجلابيتها المعهودة بينما تحمل مريم في يديها شبشب جمالات أبو صباع بطريقة كوميدية سوداء. تلبس مريم الشبشب بين أصابع يديها وكأنها تُحاكي أصابع القدمين. ينظر سعد الدين عمران إلى فتحي وجمالات، ويشير بيده الحرة من سمَّاعة التلفون ناحية الثلَّاجة، وكأنَّ الحدث لا يستدعي من سعد الدين عمران أن يقطع مُكالمته مع عايدة الضمراني، ولهذا تكفي إشارة عابرة حياتية تافهة. يضع فتحي جثة جمالات على أرض الغرفة ثم يفتح باب الثلَّاجة إلى أعلى فتطير على وجهه البليد الخالي من أي مشاعر حافة ستارة النافذة، وتُداعب وتُعاكس وجهه

t.me/qurssan

بهواء البحر بينما تقترب مريم من سرير والدها وهي تهز فردتي الشبشب بين أصابع يديها في الهواء وتطرقهما خفيفًا على بطن رسغيها إلى الداخل مُلتمسة من سعد الدين عمران إشارة أخرى عابرة حياتية تافهة لا تقطع عليه حبل حديثه. يشير سعد الدين عمران إلى صندوق مزخرف بجوار السرير. تضع مريم بابتسامة عدم الإزعاج فردتي الشبشب أبو صباع على ظهر الصندوق ثم بهدوء تتجه ناحية الثلّاجة وتحمل مع فتحي جثة جمالات، هي من عند قدميها، وهو من تحت إبطيها، ثم يرفعان الجثة عاليًا وبصعوبة وهما يدخلان من أسفل الجثة قليلًا حتى يعادلا الارتفاع المطلوب للهبوط مرة ثانية في بطن الثلّاجة. يُكمل سعد الدين عمران حديثه الذي لم ينقطع عن أذن عايدة الضمراني، بينما يسوي فتحي ومريم جثة جمالات على أكياس اللحم وأكياس الخضراوات المحفوظة وأذرع اللانشون والبسطرمة وعلب الآيس كريم، وهما يجعلان الجثة نائمة على جانبٍ ثم يثنيان قدميها قليلًا.

سعد الدين عمران: لو عاوزة تشوفي

خالد.. أنا أقدر أجبهولك هنا.. بس إنتِ

احسمي عاوزة تشوفيه ولّا مش عاوزة..

على فكرة هوه كمان عنده نفس التردد.

يقفل فتحي ومريم باب الثلّاجة على جثة جمالات ثم يخرجان من باب الغرفة وهما ينظران إلى سعد الدين عمران وكأنهما أنجزا الشيء الحياتي العابر التافه دون مُقاطعة. يرفع سعد الدين عمران يده في الهواء كإشارة شكر عابرة تافهة حياتية لا تستحق سوى الإشارة ثم يُكمل حديثه غير المنقطع دون ملاحظة عايدة الضمراني.

سعد الدين عمران: طبعًا الكتاب

هيكون معاه.. وأنا كمان عندي نسخة

t.me/qurssan

من الكتاب.. لأ مش نسخة المكتبة..

نسخة جديدة.

t.me/qurssan

٤٦

عايدة الضمراني في غرفتها تستند إلى ظهر السرير وفي يدها سمَّاعة التلفون. تقول عايدة لسعد الدين عمران بشيء من الانفعال كما انفعلت على جدها عندما ذكر نسخة جديدة للكتاب.

عايدة: ما النسخة الجديدة قدَّامي

في المكتبة.. أنا عاوزة إللي أنا

قريتها من سبعتاشر سنة.. فهمت

يا سعد ولَّا أقول تاني.. ما كفاية

عليَّ اقتراحات جدي.. اقري

النسخة الجديدة.. يا سعد إنت

أكتر واحد تقدَّر ده.. إنت استعرت

الكتاب قبلي تسع مرات.. ترضى

إنت بعد السنين دي كلها تقرا في

نسخة جديدة من الكتاب.. بلاش

طيب إنت بتقول عندك نسخة

جديدة.. بذمتك قريتها.. سعد

بالمناسبة أنا معتمدة عليك في

موضوع الذكريات إللي عن الكتاب..

أكيد في حاجة هنفتكرها مع بعض عن

الكتاب.. ولَّا إيه؟

t.me/qurssan

يدفع الأستاذ حفظي عبد الدايم باب غرفة نوم زاهر المحامي مثل عاصفة. زاهر المحامي يستند إلى ظهر السرير العالي، ويبدو عليه الكسل والإعياء والخمول، وعلى الفراش أوراق ودوسيهات منكوشة. يندفع الأستاذ حفظي عبد الدايم ناحية صديقه ويقول بصوت يختلط بين العتاب واللوم والهمجية.

حفظي: إيه يا زاهر.. إيه التلفون

المزعج ده.. إزاي حصل..

وما قُلتليش ليه بسرعة.. هوه

فين بسلامته؟ أنا قلقت أول

ما شوفتها.. كان عندي حق

يا صاحبي.. كان عندي حق..

عاوز أسمعها منَّك قبل ما نتكلم

في حاجة.. مش دفاع عن ابن

أختي.. ريحني وقُلّي كان

عندك حق.

يقول زاهر المحامي بضعف ووهن ردًّا على عاصفة صديقه الأستاذ حفظي عبد الدايم وهو يشير له بالجلوس.

زاهر: ارتاح بس الأول

يا حفظي.

يقول الأستاذ حفظي عبد الدايم وهو يدور حول نفسه ويخبط كفًّا بكف وفي نفس الوقت يبحث عن كرسي في أركان الغرفة الواسعة المعتمة إلا من ضوء بجوار رأس زاهر المحامي.

t.me/qurssan

حفظي: أرتاح.. حلوة الكلمة وبتقولها

وكأني بزرار أدوس عليه هارتاح

على طول.. حفظي عبد الدايم الشريف

المحترم إللي ضيَّع عمره على راحة

ابن أخته.. عشان صديق عمره المحامي

الكبير قالُّه ارتاح يا حفظي يبقى لازم

يرتاح حفظي.

يأتي الأستاذ حفظي بكرسي من ركن معتم ويقربه بطريقة مُبالغ فيها من سرير زاهر المحامي وفي أثناء اقترابه الشديد يلمح قالبًا كبيرًا من الشوكولاتة أُكل جزء منه وطُبق باقي القالب بعناية بأوراقه المفضضة وغلافه الورقي، فيأخذ الأستاذ حفظي القالب في يده وهو يجلس على الكرسي، ويقول لزاهر المحامي بلهجة الكبير الذي يخاف على طفل صغير من طعام ضار.

حفظي: إيه ده.. شوكولاتة.. متهيألي

إنها مش كويسة لمرضى القلب.. أنا

هالاقيها منين ولَّا منين يا صاحبي..

تسمحلي بقطمة.

يشير زاهر المحامي بيأس وهو يرفع يده قليلًا إلى صديقه بأن نعم. لا ينتظر الأستاذ حفظي عبد الدايم إشارة السماح له بأكل قطعة من قالب الشوكولاتة بل يفض أوراقها، ويأخذ في فمه قطعة كبيرة، ويقول وهو يأكلها وصوت كلماته من المضغ شره ومُنفِّر.

حفظي: أكيد الآنسة نسرين هيه

إللي سابتها جنبك.. فاهم إن

t.me/qurssan

ممكن يبقى نِفسك في حتة..

نأنوأة.. بس عشان هيه مهملة

وما بتشوفش شغلها سابتها جنبك

بمنتهى الإهمال.. أنا أعرف

كمان إنها بتجيب إسهال.. وده

أنا متأكد منُّه.

زاهر: إدِّيني فرصة أتكلم يا حفظي.

حفظي: طبعًا تتكلم وتتكلم ده إنتَ

باشا إن ما كنتش إنتَ تتكلم.. مين

يتكلم.. بس اسمحلي عشان أسمعك

كويس.. أقوم أجيب إزازة ميَّه من

المطبخ.. إنتَ عارف الشوكولاتة تموت

في الميَّه.. وما تقليش نسرين تجيبهالي..

أنا هاقوم أجيبها بنفسي.. مش

عاوزها تجيبلي حاجة.

زاهر: بس هيه ممكن تلاقيها في

المطبخ.

حفظي: ولو.. المهم إني أروح

لغاية المطبخ.. لكن هيه تجيبلي

الحاجة لغاية هنا.. مين عارف.

يقوم الأستاذ حفظي عبد الدايم وفي يده قالب الشوكولاتة،

t.me/qurssan

ويخرج مثل العاصفة يقطع الهول الكبير والممر المؤدي إلى المطبخ. يدخل الأستاذ حفظي باحثًا عن الثلّاجة في المطبخ المُضاء بضوء خفيف فوق البوتاجاز. ترى نسرين من ركن في المطبخ الأستاذ حفظي وهو يفتح الثلّاجة ويستغرق في النظر فيها ناسيًا زجاجة المياه، يُقلّب في برطمانات المايونيز والمستردة والأنشوجة وأنواع وهو يقرأ ما عليها في ضوء الثلّاجة، ثم يصنع على ملامحه امتعاضًا كاذبًا وكأن أنواع الطعام لا تعجبه. يأخذ أخيرًا زجاجة مياه ويغلق باب الثلّاجة، ثم يلتفت فيجد نسرين في وجهه. تخرج من الأستاذ حفظي عبد الدايم نصف صرخة، يكتمها فقط بسبب الحرج.

حفظي: آآآ.

تبتسم نسرين بعينيها الواسعتين لخوف الأستاذ حفظي عبد الدايم، تبقى في طريقه بنظرة تحدٍّ لا يحتملها الأستاذ حفظي الذي يبتعد عن طريقها قليلًا، ويقول بخوف وبصوت مرتفع كأنه يُطمئن نفسه هنا في الظلام إلا قليلًا.

حفظي: فين قطة ابن أختي؟

نسرين: في أوضته.

حفظي: بيعمل إيه؟

نسرين: بيحضّر شوية معلومات

طلبها منه الأستاذ زاهر عشان

مذكّرة الدفاع.

حفظي: آه.. دلوقتي بيهتم بقضيته

لمّا عرف إني جيت.. طيب

قوليله إن خالك هيطلعلك

بعد شوية.

t.me/qurssan

تقول نسرين وهي تقترب من الأستاذ حفظي عبد الدايم وتغلق عليه طريق الخروج من المطبخ وتضع يدها على صدرها.

نسرين: إنتَ خايف مني؟

يرد الأستاذ حفظي بارتباك وهو يحمل قالب الشوكولاتة وزجاجة المياه بكلتا يديه ويبتعد قليلًا عن نسرين مُتجهًا إلى باب المطبخ.

حفظي: أنا.. هاخاف منِّك ليه؟!

نسرين: طب إنتَ شايفني حلوة

ولَّا وحشة.. قطة بيقولي إني

أنا أحلى من خطيبته إللي سابها.

حفظي: ابعدي عن ابن أختي

يا حقيرة.

يقول الأستاذ حفظي عبد الدايم كلماته السابقة بانفعال وينطلق خارجًا من المطبخ بينما تضحك نسرين وهي تتابع خطواته. يعبر الأستاذ حفظي عبد الدايم الممر والهول الكبير ثم يدخل ثانية غرفة نوم زاهر المحامي الذي يستغرق في قراءة أحد الدوسيهات. يقول الأستاذ حفظي عبد الدايم وهو يجلس على الكرسي القريب من زاهر المحامي.

حفظي: ده دوسيه القضية بتاع

قطة؟

يخلع زاهر المحامي نظَّارته ويترك الدوسيه على الفراش وينظر إلى صديقه الأستاذ حفظي عبد الدايم ويقول له.

زاهر: حفظي.. أنا كلمتك النهارده

بعد ما فكَّرت كتير في قضية

ابن أختك.. قطة مش متعاون معايا..

t.me/qurssan

طلبت منُه معلومات مهمة.. وبدل

ما يهتم بمذكِّرة الدفاع.. اهتم بنسرين.

يصرخ الأستاذ حفظي عبد الدايم ثم يقفش بقبضتي يديه خديه المترهلين ويقول مرددًا وراء زاهر المحامي وهو يُقرِّب وجهه من صديقه.

حفظي: نسرين.. يا دي الكارثة

يا دي المصيبة.. إزاي ده حصل..

وإنتَ كنت فين يا صاحبي؟!

زاهر: نسرين ملهاش ذنب..

الذنب ذنب ابن أختك.

حفظي: هوه بقى ذنب كمان..

كانت قضية بس.. دلوقتي بقت

ذنب.. يعني حاجة أكبر من

القانون.. يادي الغَزقة.. ليه

يا قطة كده.. وهوه فين دلوقتي..

لازم أكلمه وأحاول إنقاذ ما يمكن

إنقاذه.. وإنتَ من ناحيتك يا محامي

يا كبير حاول في موضوع الذنب

ده.. كفاية إنها قضية.. الذنب

هيدخلنا في متاهات.. يعني أنا

ظلمت نسرين.

t.me/qurssan

يأخذ الأستاذ حفظي عبد الدايم جرعة سخية من الماء ثم يأكل قطعة من قالب الشوكولاتة ويقول وهو يهز رأسه دليلًا على الاستغراب والتراجع.

حفظي: نسرين ملهاش ذنب..

وأنا إللي كنت باقول عليها

حقيرة.. لكن لأ.. هيه السبب..

قطة بريء.. هيه إللي شغلته

عن القضية.. دي لسه حالًا

بتسألني إن كانت حلوة ولَّا وحشة.

زاهر: قطة عاوزها تسيبني وتهرب

معاه.. كل ده عشان يهرب من

قضيته.

حفظي: لازم أكلمه.. إنتَ لسه عاوزه

قد إيه هنا؟

زاهر: يومين كمان.

حفظي: تاني.. مش خلصوا اليومين؟

زاهر: القضية صعبة يا حفظي..

ولمَّا قلت يومين ما كنتش أقصد

يومين يومين.. ما كنتش عاوز

أحبطكوا.

حفظي: وشغله؟

زاهر: ماله؟

t.me/qurssan

حفظي: هوه كان واخد أجازة

يومين.. يومين يومين.. مش

يومين زي بتوعك.

زاهر: وإيه المشكلة.. يروح

الشغل من هنا ويرجع على

هنا برضه.. كأنه في بيته.

حفظي: ما اعرفش.. تفتكر

هيوافق؟

زاهر: أُمَّال أنا كلمتك ليه..

لازم تحاول معاه.. قضيته

قضية عُمر.

حفظي: ونسرين؟

زاهر: مالها؟

حفظي: حاولت معاه؟

زاهر: هيه بتحاول بطريقة

اليومين.

حفظي: مش فاهم.

زاهر: يا صاحبي العزيز..

الطريقة إللي لسه قايلهالَك..

إن اليومين مش يومين بالظبط.

يأخذ الأستاذ حفظي قطمة من قالب الشوكولاتة ويقول وكأنَّ

t.me/qurssan

فكرة عظيمة خطرث على باله وهو يُبالغ في اقترابه بالكرسي من سرير زاهر المحامي.

حفظي: عندي فكرة ممتازة ممكن

تساعدنا كتير.. ممكن أقعد يومين

هنا وأحاول أقنعه معاكو؟

زاهر: قصدك تقعد يومين بالظبط؟

يضحك الأستاذ حفظي عبد الدايم ويقول وهو يأخذ جرعة من زجاجة المياه بينما يبدو القلق وخيبة الأمل على وجه زاهر المحامي.

حفظي: يا مُحامينا العظيم.. ديه

قضية عُمر.. قصدي باليومين

مش يومين بالظبط.. يومين

من بتوعك.

t.me/qurssan

سعد الدين عمران في منامته أو قميصه أو جلابيته الملطخة بلطشات من البوية أو الجواش. على سرير النوم أو سرير العمل قطعة مُربَّعة من الخشب السميك بارتفاع عشرين سم وعرض عشرين سم. قطعة الخشب المصمت بين ساقه السليمة وبقايا الساق المبتورة. في يد سعد الدين عمران شنيور كبير ببنطة حوالي عشرة سم، وعلى السرير طقم أبناط بسُمك مختلف. يُثبت سعد الدين عمران بنطة الشنيور في مربَّع الخشب ويركب الشنيور بذراعيه وكتفيه بينما سلك الشنيور ينتهي بفيشة في أرض الغرفة مباشرة بجوار السرير. يضغط سعد الدين عمران على زناد الشنيور بقوة وتحكُّم. ينطلق صوت الشنيور المزعج الهادر، وتثقب البنطة بشكل مستقيم عمق الخشب ثم تصل إلى أقصى مداها. يرتفع سعد الدين عمران بسلاح الشنيور، ليجد الثقب نظيفًا مستقيمًا. يُقرِّب فمه من الثقب وينفخ فيه تأكيدًا للنظافة واستقامة الثقب. الباب المشترك بين غرفة سعد الدين عمران والغرفة الأخرى مفتوح على مصراعيه. تقوم مريم بوضع بياضات نظيفة للغرفة الأخرى بينما يكنس فتحي أرض الغرفة. يقول سعد الدين عمران من سرير النوم أو سرير العمل لابنته مريم.

سعد الدين عمران: ها.. خَلَّصتِ

يا مريم.. عاوز الأوضة على سنجة

عشرة.. رفيقة السلاح عايدة

الضمراني مخلولة رسمي..

كفاية عليها الوساوس إللي

بتحاربها.

يُجمِّع فتحي ما كنسه في الغرفة وهو قليل، به بعض نشارة الخشب، ويدفعه بالمكنسة إلى غرفة سعد الدين عمران الذي

t.me/qurssan

يقول مازحًا لفتحي.

سعد الدين عمران: هوه هنا مزبلة أهلك؟!

ينظر فتحي إلى سعد الدين عمران بخمول وانعدام صارخ لرد الفعل فتبتسم مريم وتقول وهي تتحرك لغرفة الوالد.

مريم: هيه قربت تيجي؟

سعد الدين عمران: في الطريق.

مريم: شكلها مجنونة قوي.

سعد الدين عمران: احترمي نفسك

ديه صديقة.

مريم: هوه خالد هييجي؟

سعد الدين عمران: احتمال.. تقريبًا

وقع في مصيبة.

مريم: إيه؟

سعد الدين عمران: الكتاب باين ضاع

منُه.

مريم: «خسوف كلي»؟

سعد الدين عمران: أيوا.

مريم: وعايدة عرفت؟

سعد الدين عمران: دي كانت ماتت..

بس هوه لسه مش مُتأكد.

مريم: من إيه؟

t.me/qurssan

سعد الدين عمران: من الضياع.

يقول سعد الدين عمران كلمة الضياع التي تحتمل في قوله معنى الضياع بشكل عام فتضحك مريم وهي تفتح باب الثلّاجة وتأخذ علبة آيس كريم من تحت ساقي جمالات وتشير بها لسعد الدين عمران وكأنها تقول له هل تريد واحدة. يقول سعد الدين عمران لابنته.

سعد الدين عمران: في بالفانيليا؟

تبحث مريم في عمق الثلّاجة وتُقلب علب الآيس كريم وتضطر إلى رفع ساق جمالات قليلًا للبحث تحتها ثم تلتفت إلى سعد الدين عمران وتقول ببراءة عذبة.

مريم: في شوكولاتة وفراولة.

يُشير سعد الدين عمران لابنته بأن لا. تبحث مريم في غابة بين برطمانات الألوان وقطع الصنفرة الخشابي والحدادي والمفكات والأزاميل الموضوعة على الترابيزة بجوار المنجلة عن ملعقة تأكل بها الآيس كريم فتجدها أخيرًا تحت قطعة صنفرة. تجلس مريم على حافة السرير وتقول وهي تأكل بأناقة من علبة الآيس كريم بينما يُغيِّر سعد الدين عمران بنطة الشنيور ببنطة أغلظ.

مريم: يعني مش هييجي إلا

ومعاه الكتاب؟

سعد الدين عمران: مش بالظبط..

ممكن ييجي من غير الكتاب.

مريم: هوه ضيَّعه فعلًا.. ولّا

مش عاوز يديه لعايدة؟

سعد الدين عمران: ممكن الحاجتين.

تقول مريم بسخرية من سعد الدين عمران الذي يستعد بتثبيت

t.me/qurssan

البنطة الجديدة في مكان على سطح المُربَّع الخشبي وهو يقيس مسافة ما بين الثقب الأول والثقب المستقبلي بطرف إصبعيه.

مريم: وإنت بذمتك فاكر حاجة

من الكتاب؟

سعد الدين عمران: طشاش.. بس

حاجات جنب الكتاب.

تضحك مريم ويضحك سعد الدين عمران بينما يأتي فتحي من الغرفة الأخرى إلى غرفة سعد الدين عمران بعد سماعه موتور عربية والنظر من النافذة. يقول ببلادة وخمول.

فتحي: الأستاذة عايدة وصلت.

t.me/qurssan

فتحي يخرج من بيت سعد الدين عمران ويمشي الأمتار القليلة إلى عربة عايدة الضمراني التي تخرج من العربة وتنتظر في الخلف عند حقيبة العربة. يصل لها فتحي بالعفريتة الجينز. تفتح الحقيبة بينما يقول فتحي باقتضاب وهدوء.

فتحي: حمد الله على السلامة..

اتفضلي يا أستاذة.

عايدة: شكرًا.

يحمل فتحي حقيبة سفر عايدة الضمراني ويسير في المقدمة. يدخلان البيت ثم يصعدان إلى الطابق الثاني ويدخلان غرفة الضيافة من الباب الرئيسي المطل على الممشى. تستغرب عايدة بنظرتها إلى الباب الواصل بين غرفتها وغرفة سعد الدين عمران الذي ينادي من سريره على عايدة.

سعد الدين عمران: عايدة.

يقل الاستغراب على وجه عايدة وهي تقترب من الباب الواصل بين الغرفتين وتقول وهي تدخل إلى سعد الدين عمران.

عايدة: سعد.

سعد الدين عمران: أيوا.

تبحث عايدة بعينيها في غابة الغرفة وتستقر في النهاية على السرير. تميل بابتسامة على سعد الدين عمران الذي يتحرك لها على السرير بحركة غير منسجمة يقبلها قبلتين. يصطدم بوز جزمة عايدة بالساق الصناعية أسفل السرير فتنظر إليها، لكن سعد الدين عمران يشتت انتباهها بالكلمات ويقول وهو يُزيح من على الصندوق الخشب المُزخرف فردتي شبشب جمالات ويعطي عايدة خُدَّدية صغيرة تضعها على الصندوق فتأخذ عايدة الخُدَّدية وتضعها بتردد على الصندوق وتجلس بحذر وهي تنظر

t.me/qurssan

تحت قدميها.

سعد الدين عمران: أهلًا يا عايدة..

بنتي مريم.

تقترب مريم بابتسامة من عند الثلّاجة وتمد يدها لعايدة الضمراني التي تقوم من على الصندوق وتسلِّم عليها.

مريم: هاي عايدة.

عايدة: هاي مريم.

سعد الدين عمران: هنا بقى لا محتاجة

مهدئات ولا منومات.. هوا البحر

هينيمك زي البيبي.

تبتسم عايدة الضمراني بخجل من قول سعد الدين عمران أمام ابنته هذا القول، فتعبث في حقيبتها لتخرج علبة السجائر والولاعة وتضع في الحقيبة نظّارتها الشمس السبعينية. تقول مريم التي التقطت خجل عايدة من قول سعد الدين عمران.

مريم: قهوتك إيه يا عايدة؟

عايدة: مظبوط.

تنادي مريم على فتحي في الغرفة الأخرى بينما يقدم سعد الدين عمران طفّاية سجائر صغيرة كانت تائهة تحت فراشه.

مريم: يلّا يا فتحي معايا.

يدخل فتحي غرفة سعد الدين عمران من الباب الواصل بين الغرفتين ويتجه إلى مريم القريبة من باب الغرفة الأصلي. يتحرك فتحي ببطء وهدوء. يخرج فتحي ومريم من الغرفة بينما يبدو على سعد الدين عمران وعايدة الضمراني انتظار هذا الخروج. يقول سعد الدين عمران لعايدة الضمراني وهو يشير إلى الغرفة

t.me/qurssan

الأخرى.

سعد الدين عمران: ديه أوضتك.. جنبي

على طول.. عشان لو احتجتِ لأي

حاجة.. بس تندهي عليَّ.

عايدة: مرسيه يا سعد.. ممكن أبقى

أسيب الباب مفتوح بالليل عشان

باخاف؟

سعد الدين عمران: ممكن قوي..

أنا قتيل الوَنَس.

تشير عايدة الضمراني بالتفاتة خائفة مُرتبكة ناحية الغرفة الأخرى وتقول لسعد الدين عمران وهي تنفض رماد سيجارتها في الطفَّاية.

عايدة: هوه خالد لمَّا قعد عندك

يومين كان قاعد في الأوضة ديه؟

يكذب سعد الدين عمران سريعًا وبقلب بارد وهو يبتسم ويُنحي جانبًا بنطتين من بُنَط الشنيور ويقول ببراءة الصادق.

سعد الدين عمران: لأ.. قعد في

أوضة المكتبة في الدور الأرضي

عشان كان مغرم بالكتاب وعاوز

يقارن بين النسخة الجديدة إللي عندي

ونسخة المكتبة.. قُلناله طب

نحطلك سرير صُغيَّر تنام عليه..

t.me/qurssan

قال كفاية الكنبة ديه.

يصمت قليلًا سعد الدين عمران ويقول وهو ينظر بقوة إلى عايدة الضمراني التي لا تحتمل نظرته الثاقبة المُجرَّدة من أي تعاطف.

سعد الدين عمران: مُزعج ليكي لو

كان نام في الأوضة؟

عايدة: أيوا.

سعد الدين عمران: طب إنتِ مصدَّقة

إنه نام في المكتبة؟

عايدة: لأ.

تنظر عايدة الضمراني بابتسامة مُتعبة إلى سعد الدين عمران الذي يضحك ويقول وهو يميل بجسمه ويضع قطعة الخشب المُربَّعة على الأرض بجوار السرير.

سعد الدين عمران: عِرفتِ منين؟

عايدة: من السرير الصُغيَّر إللي

حطتهولوه في المكتبة.

سعد الدين عمران: أُمَّال لو جه

هتعملي إيه؟

عايدة: هوه أكد إنه جاي؟

سعد الدين عمران: لأ.

عايدة: يا ريت ما يجيش.

سعد الدين عمران: والكتاب؟

عايدة: هوه أنا لازم أشوفه

t.me/qurssan

عشان آخد الكتاب؟

يدخل فتحي من الباب الأصلي لغرفة سعد الدين عمران وفي يده صينية عليها فنجانان من القهوة وزجاجتان صغيرتان من المياه المعدنية. يأخذ سعد الدين عمران من فتحي الصينية ويميل بها كي يضعها على قطعة الخشب المُربَّعة أسفل السرير أمام عايدة الضمراني التي تأخذ منه الصينية وتضعها على قطعة الخشب المُربَّعة. يقول سعد الدين عمران وهو يشعل سيجارة.

سعد الدين عمران: إنتِ تعرفي إن عنده

صورتين ليكي؟

عايدة: صورتين إيه؟

سعد الدين عمران: صورتين فوتوغرافيا.

عايدة: جابهم منين؟

سعد الدين عمران: من عايدة.

عايدة: عايدة جبران؟

سعد الدين عمران: عايدة جارتكو في

بيتك القديم.

عايدة: ما هيه عايدة جبران.

سعد الدين عمران: صورتين قُدَام.

عايدة: ولو.. المهم إنهم صورتين..

يعني ما بقاش الكتاب بس.

سعد الدين عمران: لو قالِّك مثلًا

خدي الكتاب وسيبيلي الصورتين.

عايدة: طبعًا هارفض.

t.me/qurssan

سعد الدين عمران: طب لو العكس.

عايدة: إيه.. آخد الصورتين وأسيبله

الكتاب؟!

سعد الدين عمران: أيوا.

عايدة: برضه لأ.

t.me/qurssan

مـريم فـي المطبـخ تتحـرك بـين محتوياتـه. مـن الثلّاجـة إلـى البوتــاجاز، ومــن فصـل قشـر الجمبـري الجـامبو إلـى غسـيل الخضراوات، بينما يجلس فتحي على كرسي أمام ترابيزة المطبخ الصـغير غـارقًا فـي بلادتـه وخمولـه. تقـول مريم بعصبية زائفة لفتحي.

مريم: إنتَ يا زفت.. إنتَ مش

هتساعدني في حاجة؟

فتحي: يا أستاذة قوليلي أعمل

إيه وأنا أعمله.

مريم: تعرف تعمل السلطة؟

فتحي: لأ.

تبتسم مريم وهي تبحث عن شيء في دُرَف المطبخ التحتانية وتقول لفتحي الذي يلتفت إليها بنصف اهتمام وهو يرتشف من كوب الشاي الأسود أمامه على الترابيزة.

مريم: فين شواكيش الكابوريا؟

فتحي: ما اعرفش.. جمالات

هيه إللي كانت عارفة كل حاجة

فين.

تأخذ مريم الخطوتين اللتين تفصلانها عن فتحي ثم تلطش رأسه المنكوش بشعر كثيف من الخلف بنصف مرح بنصف جد وتقول.

مريم: كان لازم تموتها.. آدينا

محتاسين من غيرها!

t.me/qurssan

يقول فتحي بلهجة كئيبة وهو يأخذ نفسًا من سيجارته وينظر إلى بلاط المطبخ بينما تبحث مريم في أدراج المطبخ.

فتحي: كلنا هنموت يا أستاذة.

مريم: أيوا.. بس الشواكيش فين..

يمكن في الورشة؟

فتحي: ورشة إيه؟

مريم: ورشتك يا مخبِّل.

فتحي: كويس إنك فَتحتِ الموضوع

يا أستاذة.. أنا ما كنتش عارف

أقولّك إزاي.

مريم: تقول إيه؟

فتحي: أنا عاوز أنقل العدة من

أوضة عم سعد.. وأرجعها تاني

الورشة.

مريم: طب ما تقولُه هوه.

فتحي: خايف يرفض.

يقول فتحي بتأثر حقيقي وهو ينظر إلى مريم التي ما زالت تبحث في أنحاء المطبخ عن شواكيش الكابوريا.

فتحي: تخيلي يا أستاذة إني

عملت الشواكيش في أوضة

عم سعد.. وإنتِ أول حاجة

جت على بالك إن ممكن

94%
t.me/qurssan

الشواكيش تبقى في الورشة..

مش في أوضة عم سعد.

تقول مريم وهي تجد شاكوشين فقط في درج بعيد أقصى المطبخ بفرحة طفولية بينما فتحي في وجومه يهرش رأسه من الخلف.

مريم: هيه.. لاقيت اتنين.

ترفع مريم الشاكوشين الصغيرين في الهواء وتقترب من رأس فتحي وتخبطه على رأسه بواحد من الشاكوشين خبطة لا هي بالخفيفة ولا هي بالثقيلة فيبتسم فتحي وهو يهرش في مكان الخبطة على رأسه وتقول.

مريم: هُمَّا كانوا كام؟

فتحي: مش فاكر.. أنا ساعتها

عملت يا أربعة يا خمسة..

أكيد الباقي في أوضة عم سعد.

تقول مريم بمُنَاكَدة استفزازية لفتحي الجالس أمام الترابيزة وهي تهز الشاكوشين في يديها عابثة بطرق هوائي.

مريم: يعني مش في الورشة؟

فتحي: لأ.. قولنا لأ.

t.me/qurssan

يجلس سعد الدين عمران مادًّا ساقه الصناعية في مواجهة البحر، وتجلس أمامه عايدة الضمراني وابنته مريم، يجلسون تحت قطعة القماش المُربَّعة. على الترابيزة أمامهم طاجن فواكه البحر وزجاجة واين أبيض وكؤوس وشاكوشان لتهشيم الكابوريا. يرفع سعد الدين عمران إصبعه في الهواء طلبًا للإنصات ثم يأخذ رشفة من الواين ويقول ناظرًا إلى عايدة.

سعد الدين عمران: الممثل الأول قال في

جملته شجرة.. وهوه يقصد شجرة بعينها..

قام الممثل التاني رد على الممثل الأول

وقال شجرة.. وكان ما يقصدش شجرة

بعينها.. راح المخرج موقَّف تصوير

المشهد.. عشان ما حسش الفرق في

أداء الممثل الأول والممثل التاني..

وبعد توجيهات المخرج دارت الكاميرا

مرة تانية.. وبعد جملتين للممثل الأول

والممثل التاني.. وقفت الكاميرا.. المخرج

حس إن الممثل الأول كان ما يقصدش

شجرة بعينها.. كان يقصد أي شجرة..

والممثل التاني كان يقصد شجرة الممثل

الأول.. اتكلم المخرج مع المساعد بتاعه..

وقام قايله مكان التصوير مفيهوش

t.me/qurssan

شجر.. وده إللي مخلّي أداء الممثل

الأول زي أداء الممثل التاني.. وعلى

طول بأوامر المخرج اتغير مكان

التصوير.. وبدل الكافيه بقى كازينو

بجنينة.. والجنينة فيها شجرة تين

كبيرة.. في المشهد إللي بعده اختفى

الممثل التاني.. وجت البطلة إللي

كان بينها وبين الممثل الأول وهيه

مراهقة شوية ذكريات وكام بوسة

تحت شجرة التين.. بس ده كان

من زمان.. المهم البطلة ما عرفتش

تفكّر في شجرة بعينها.. عشان كان

ليها ذكريات تانية وكام بوسة تانية

مع ناس تانية تحت كام شجرة تين

تانية.

تضحك عايدة الضمراني وتضحك مريم ويضحك سعد الدين عمران ضحكات خالية من الهموم بينما الشاكوش الأول في يد مريم والشاكوش الثاني أمام عايدة الضمراني. تلتقط مريم الشاكوش الثاني من أمام عايدة الضمراني وتقول وهي تلوّح في الهواء بالشاكوشين.

مريم: سؤال عويص.. يا ترى يا هل

ترى.. في فرق بين الشاكوش الأول

t.me/qurssan

والشاكوش التاني.

عايدة: متهيألي إن في فرق..

عشان لو مثلًا الممثل الأول

مسك الشاكوش التاني والممثل

التاني مسك الشاكوش الأول على

طول هيحس المخرج إنه كان

لازم الممثل الأول يمسك الشاكوش

الأول والممثل التاني يمسك الشاكوش

التاني.

يضحك سعد الدين عمران بصوت أعلى، بصوت روماني نيتشوي مرح، وتضحك عايدة الضمراني بصوت أعلى، بصوت رومانية نيتشوية مرحة، وتضحك مريم بصوت أعلى، بصوت رومانية نيتشوية مرحة.

t.me/qurssan

٥٢

عايـدة الضـمراني بقمـيص النـوم فـي الحمَّام. آثار بخـار الحموم واضحة على المرآة الكبيرة فوق الحوض مباشرة. تنظر عايدة إلى صورتها في المرآة. وجه مُجهد بعد الحموم. تمسح بكف يدها الجزء المقابل أمام وجهها. تترك يدها قليلًا على سطح المرآة كأنَّها تستعد لرؤيـة الوجـه الذي هو لها. تُبعد يدها عن المرآة. وجـهها الآن أكثـر وضـوحًا وحزنًا. تغسـل أسـنانها بـالمعجون ثم تمسك علبة الدواء، وتنظر إلى المرآة، وتُخاطب نفسها في السر بينما شفتاها مزمومتان عاقدة العزم.

عايدة: مفيش مُنوِّم النهارده..

هيحصل إيه؟

هاجرَّب النهارده وإللي

يحصل يحصل.

t.me/qurssan

تخرج عايدة الضمراني من الحمَّام بقميص نومها. تتحسس خطواتها وكأنَّ الطريق إلى السرير مفروش بالزجاج تحت قدميها العاريتين، وهي تمسك بيد علبة الدواء، وباليد الأخرى كوبًا كبيرًا يمتلئ إلى نصفه بالماء. ضوء سهَّاري ينبعث من أباجورة بشابوه صغير جدًّا على كومودينو بجوار السرير، وضوء آخر سهَّاري يرتمي على الأرض الخشبية، ويأتي من الباب الفرعي الواصل بين غرفة سعد الدين عمران وغرفة عايدة الضمراني. ينادي سعد الدين عمران ويقول بصوت هادئ دافئ على عايدة الضمراني وهي تدخل ببطء إلى السرير وكأنَّ هوس الزجاج المفروش على الأرض بعد أن اجتازته بنجاح انتقل إلى فراش نومها في مُحَاوَلة منه أخيرة لفرض الجنون عليها.

سعد الدين عمران: عايدة.

عايدة: أيوا.

سعد الدين عمران: إيه الأخبار؟

عايدة: أنا كويسة.

تضع عايدة الضمراني كوب الماء نصف الممتلئ وعلبة المُنوِّم على الكومودينو ثم تدخل ببطء إلى الفراش النظيف الناعم. من عند سعد الدين عمران يظهر جانب من الكومودينو، ومن عند عايدة الضمراني يظهر جانب من نهاية سرير سعد الدين عمران الذي يقول.

سعد الدين عمران: جنبك المُنوِّم

وكوبَّاية الميَّه؟

عايدة: أيوا.

سعد الدين عمران: قلتِ لنفسك إيه؟

t.me/qurssan

عايدة: حتى لو كانوا جنب إيدي

مش هاقرَّب منهم.

سعد الدين عمران: كدَّابة.

عايدة: لأ مش كدَّابة.

سعد الدين عمران: طب هزي

الصدق شوية.

عايدة: مصدَّقة نص نص.

سعد الدين عمران: نص إيه

ونص إيه؟

عايدة: نص إني مش هاجي

جنب المُنوَّم لغاية الصبح..

والنص التاني إني قُرب

الفجر هاخد حبَّاية.

سعد الدين عمران: حلو.. إنتِ بقى

عايدة الضمراني مع أنهي نص فيهم؟

تبلع عايدة الضمراني ريقها قبل الإجابة وكأن هنا الامتحان الحقيقي، ثم تُغمض عينيها لحظات للتركيز وتقول بصعوبة وتشجيع لنفسها وهي تفتح عينيها.

عايدة: أنا مع النص إللي بيقول

مش هاجي جنب المُنوَّم لغاية

الصبح.

سعد الدين عمران: مع إنه جنب

t.me/qurssan

إيديكِ.

عايدة: مع إنه جنب إيديَّا.

سعد الدين عمران: فاكرة إيه من كتاب

«خسوف كلي»؟

عايدة: ولا حاجة.

سعد الدين عمران: مع إنك قرتيه كتير

في المكتبة.. واستعرتيه مرة.

عايدة: طب إنتَ فاكر منُّه إيه..

وإنتَ قريته دشليون مرة.. واستعرته

تسع مرات؟

سعد الدين عمران: ولا حاجة برضه.

تضحك عايدة الضمراني من قلبها، ويضحك سعد الدين عمران من قلبه. الضوء السهَّاري يُظلل الضحكات والمسافة بين البابين تزداد ألفة. تتقلب عايدة الضمراني في السرير الناعم النظيف غير خائفة من هوس الزجاج المُحطَّم وتتجه بنظرتها إلى نهاية سرير سعد الدين عمران الذي يقول مُستدركًا.

سعد الدين عمران: بس فاكر إن

أول قراية ليَّ في الكتاب كانت

يوم تلات في شهر يناير سنة

١٩٨٠.. وكانت مدام هدى

أمينة المكتبة.. فاكراها؟

عايدة: فاكراها.. ولسه شايفاها

t.me/qurssan

من أسبوع.

سعد الدين عمران: كانت مدام

هدى لسه مخلِّفة بنتها الكبيرة

شيكو.. كانت ملهاش سيرة

مع زميلتها في المكتبة...

عايدة: سميرة؟

سعد الدين عمران: اللّه ينوِّر عليكِ..

سميرة.. ملهاش سيرة غير إنها

جالها البواسير وهيه حامل في

شيكو.. وأجلت العملية لبعد الولادة.

عايدة: وفضلت مأجِّلاها لسنة ١٩٨٦

السنة إللي خلفت فيها بيكو..

بنتها التانية.

سعد الدين عمران: سنة ١٩٨٦ ديه

السنة إللي استعرت فيها كتاب

«خسوف كلي» للمرة السابعة.

عايدة: وبرضه مدام هدى البواسير

تعبتها تاني في حمل بيكو.. وحلفت

ميت يمين لتعمل العملية بعد

ما تولد بيكو.. مش فاكرة بقى

هيه عملتها فعلًا بعد ما ولدت

t.me/qurssan

بيكو؟ أنا فاكرة إنها عملتها.

سعد الدين عمران: عملتها آه.. بس

بعد ما ولدت ريكو بنتها التالتة.

عايدة: أيوا ولدت ريكو سنة ١٩٩٥

السنة إللي استعرت فيها الكتاب.

سعد الدين عمران: واستعارتك أنا فاكر

إنها اتأجلت شهرين.. عشان الكتاب

دخل للتجليد.

عايدة: للصيانة زي ما كنا بنقول.

سعد الدين عمران: للصيانة.. عليكِ نور..

المهم إنك طول الشهرين كُنتِ متنرفزة

جدًّا.. وكل يومين تسأليني هوه الكتاب

بيدور عن إيه؟

عايدة: وإنتَ تحكيلي بالتفصيل الممل

الكتاب بيدور عن إيه.. فاكر كنت

بتحكيلي إيه؟

سعد الدين عمران: الحقيقة لأ.

تضحك عايدة الضمراني ويضحك سعد الدين عمران الذي يقوم نصف قومة ويستند إلى ظهر السرير ويشعل سيجارة ويقول حالمًا.

سعد الدين عمران: شيكو دلوقتي عندها

اتنين وتلاتين سنة.. وبيكو عندها دلوقتي

t.me/qurssan

ستة وعشرين سنة.

عايدة: غلط.. بيكو دلوقتي عندها خمسة

وعشرين.

سعد الدين عمران: ليه يا قطة.. مش

مدام هدى كانت بطنها مترين لقدَّام في

١٩٨٦.

عايدة: أيوا.. بس ولدت بيكو في واحد

واحد ١٩٨٧.

سعد الدين عمران: في ستة وتمانين.

عايدة: وأنا باقولَّك في سبعة وتمانين.

سعد الدين عمران: أخبار المُنوَّم إيه؟

عايدة: بس يا شرير يا حيوان.

سعد الدين عمران: تصبحي على خير.

تقول عايدة الضمراني بابتسامة رضا وهي تُغلق ضوء الأباجورة السهَّاري وتتقلب في السرير للناحية الأخرى.

عايدة: تصبح على زفت.

t.me/qurssan

يصل خالد بعربته إلى محيط بيت سعد الدين عمران. السكون يلف البحر ومحيط البيت. في الكرسي المجاور لكرسي القيادة كتاب «خسوف كلي» ببنط كبير ذهبي وببنط أصغر اسم المؤلف «جاليليو جاليلي» ترجمة الفقير لله «عبود شيخ الأرض». ينزل خالد من العربة بعد أن يأخذ في يده الكتاب. الهدوء يخيم على المكان. يرى خالد شيئًا غريبًا في ورشة فتحي الملاصقة لبيت سعد الدين عمران. يقترب خالد من الورشة، فيرى شبَّاك نافذتها مفتوحًا، لكنه ينفتح على جدار مبني من الطوب الأحمر. يقترب من باب الورشة المفتوح. لا أحد هنا. الورشة فارغة إلا من المحفَّة التي صُلب عليها فتحي، ومشنقة جمالات. يخرج خالد من الورشة، وتقع عيناه مرة ثانية وهو يتجه إلى باب بيت سعد الدين عمران على جدار النافذة المبني بالطوب الأحمر وأمامه خشب الشبَّاك. لا يجد خالد باب بيت سعد الدين عمران، حلق الباب فقط وقد غُلِّف بورق الجرايد وثُبِّت بالشريط اللاصق الأصفر العريض. في صالة البيت كل الأبواب غير موجودة، والحلوق مُبرشَمة بورق الجرائد والأشرطة اللاصقة العريضة. اختفت قطع الأثاث، والموجود عليه مُشمَّع شفَّاف ومُبرشَم بالأشرطة اللاصقة الصفراء. وأرض الصالة عليها نفس المشمَّع الشفَّاف، وكي لا يحبس الهواء تحته فهو غير مُتصل في بعض النواحي ويسد الشريط اللاصق الأصفر على الأرض انقطاع المشمَّع الشفَّاف. على كرسي وحيد باقٍ في ركن توجد حقيبة موضوعة بإهمال ومُبرشَمة بإسفنج عليه مُشمَّع شفَّاف والشريط اللاصق الأصفر يحزم الحقيبة بالطول والعرض، ويخرج من الحقيبة في الهواء أرقام الشفرة الثلاثية ٠٩٨. يصعد خالد إلى الطابق الثاني، ويدخل غرفة الضيافة التي يعرفها، فلا يجد بابها، والجرايد والأشرطة اللاصقة تُغلِّف الحلق وأماكن أكباس النور وعلى الأرض المشمَّع الشفَّاف. يتقدم خالد من الغرفة إلى غرفة سعد الدين عمران الخالية تقريبًا إلا من السرير والثلَّاجة، وعلى السرير والثلَّاجة نفس البرشَمة بالمشمَّع والأشرطة اللاصقة إلا أن

t.me/qurssan

الثلَّاجة تتمتع بإسفنج يلفها من أسفل ثم يأتي المشمَّع والشريط اللاصق العريض. ينزل خالد مرة أخرى من الطابق الثاني إلى الطابق الأول، ويدخل غرفة المكتبة الخالية من بابها والمبرشَم حلقها بالجرايد والشريط اللاصق. الكتب تغطي الجدران الثلاثة، وهناك أكوام من الكتب تصل من الأرض إلى منتصف قامة رجل. يترك خالد بسهولة ويسر كتاب «خسوف كلي» على أحد أكوام الكتب وهو ينظر إلى جدار الغرفة الرابع المفروش كله بصور فوتوغرافية مختلفة الأحجام للعجوزين. هي صورة واحدة تجمع العجوزين وقد تم تكرارها في أحجام متفاوتة، ووضِعَت في براويز بسيطة أنيقة عليها زجاج أبيض شفَّاف تقليدي، البراويز خالية من الزخرفة ولُصقت جميعها على الحائط الرابع للغرفة، لُصقت مُباشرة على الحائط دون فراغات بينها وبين الحائط.

t.me/qurssan